وسائل القبول وذيل المأمون بشرح نظم أم الخيرات لخصائص الرسول ﷺ

تأليف الفقير إلى عفو الله ومغفرته ابن اخيها
أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي
المدرّس بالمسجد الحرام

تقديم
الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

إدارة إحياء التراث الإسلامي
دولة قطر

دار الغرب الإسلامي

مع تحيات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بدولة قطر

وسائل القبول ونيل المأمول
بشرح نظم أم الخيرات
لخصائص الرسول ﷺ

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
الرقم العام : ٣٦٠٤
رقم التصنيف : ٩٠٣ ح ٢١٩

وسائل القبول وذيل المأمون بشرح نظم أم الخيرات لخصائص الرسول ﷺ

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف :
الرقم العام : ٣٦٠٤
الرقم الآلي : ٢٤٣٢
جهة التوريد :

تأليف الفقير إلى عفو الله ومغفرته ابن اخيها
أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي
المدرّس بالمسجد الحرام

تقديم
الشيخ عبدالله بن ابراهيم الأنصاري

إدارة إحياء التراث الإسلامي
دولة قطر

دار الغرب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1989-1409

دار الغرب الإسلامي
ص.ب: ٥٧٨٧/١١٣
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الأولى

شنقيط والعلم وحب رسول الله (ﷺ)

تقديم الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري

للعلم في شنقيط تاريخٌ عريقٌ يعود إلى دخول الإسلام إليها في مطلع القرن الخامس الهجري قبل ظهور المرابطين بقليل. ومع صعود المُرابطين تحوَّلت شنقيط إلى مركزٍ لبثّ العلم ونشر الدعوة في أقطار القارة السوداء. وما تمبكتو وغيرها من مراكز الدعوة والعلم إلّا حسنة من حسناتها.

وقد اعتاد الشنقيطيون على «الأُسَر العلمية» بحيث يكون كلُّ أفراد الأُسرة متعلمين أو علماء ومن بينهم النساء؛ وتلك عادةٌ ترجع إلى ما بعد القرن السابع الهجري. ففي التواريخ الكثيرة والتي كتبها أبناء البلاد عنها وعن تراجم علمائها نقرأ تراجم كثيرةً لفقهاء ومحدِّثين من النساء يبلغ عددهنّ ثلث عدد أقرانهنّ من الرجال أحياناً في العصر الواحد.

ويغلب على التأليف بشنقيط بين القرون الثامن والرابع عشر الهجري الطابع الفقهي شأنهم في ذلك شأن سائر أنحاء العالم الإسلامي. فقد سيطرت الثقافة الفقهية منذ القرن السادس الهجري وحتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري بسبب التصاقها بحياة الناس اليومية وحاجتهم إليها من جهة، ولإتاحتها المجال للاجتهاد والتفريع من جهةٍ ثانية. لكنّ فنّين آخرين أتيا بعد الفقه من حيث غزارة التأليف هما التصوف والتاريخ. فقد سادت طرقٌ صوفيةٌ بشنقيط في العصور المتأخرة أهمها القادرية. كما أنّ الشنقيطيين كانوا يعون ما يقومون به من دور في إفريقية والعالم الإسلامي بمجال الدعوة فكانوا يسجّلون ذلك في صورة تواريخ

للأحداث، وتراجم للعلماء.

أمّا في التصوّف فقد تعدّدت أساليب التأليف ووجوهه؛ لكنّ تشدُّد المذهب المالكي حالَ دون شذوذه أو غلوّه وتطرُّفه. فبقي شيئاً ملتزماً بأقوال السلف وسلوكهم. لذلك كانت مدائح النبي (ﷺ) وسِيَرُهُ النثرية والشعرية فنّاً مفضّلاً لدى الصوفيين يلجأون إليه دائماً تعبيراً عن أشواقهم الروحية والتصاقهم بالنبي صلوات الله وسلامه عليه حبّاً وإعجاباً واقتداءً؛ وهو القائل صلوات الله عليه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده ونفسه والناس أجمعين».

في هذا السياق تأتي أُرجوزة السيدة التي بين أيدينا. وهي أُرجوزة حبٍّ واقتداءٍ برسول الله. وتتميز بنفسٍ شعريٍّ لا بأس به، كما أنها تنمّ عن معرفةٍ دقيقةٍ بالسيرة والمغازي مع تركيزٍ على فضائل الرسول (ﷺ) وخصائصه ودلائل نبوّته. أمّا مضامينها التاريخية فمستمدَّةٌ في كثرتها الساحقة من الشفا للقاضي عياض، وبعض شروحه وبخاصةٍ شرح الخفاجي المتأخر. لكنّ هناك عناصر قليلة ربما كانت مستمدَّةً من الخصائص الكبرى للسيوطي، ومن منية السول في تفضيل الرسول لابن كثير.

إنّ نشر هذا الأثر الشعري الصوفي التعليمي يؤدّي عدة أغراض. فهو من ناحيةٍ دليلٌ على استمرار العلم بشنقيط محتفظاً بتقاليده العريقة التي يشترك فيها الرجال والنساء. وهو من ناحيةٍ ثانيةٍ دليلٌ على أنّه من الممكن استمرار ثقافة المخطوط حتى مع وجود وسائل الطباعة الحديثة. ثم هو من ناحيةٍ ثالثةٍ مهمةٍ دليلٌ على أنّ شخصية رسولنا الأعظم ﷺ ستظلُّ موطن ألهامٍ وحبٍّ وقدوةٍ ما بقي الإسلام، وبقي المسلمون.

خادم العلم

عبدالله بن إبراهيم الأنصاري

مدير عام إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر

غرة ربيع الأول ١٤٠٩ الموافق ١١ تشرين الأول ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمَة الكِتاب

الحمد لله منشئ الخلق من عدم، المتفضل المنعم، لا يستطيع أحد إحصاء نعمه سبحانه حيث يقول: ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾، خلق هذا الكون بمحض إرادته وكلف الثقلين بتوحيده وعبادته ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾، وأرسل إليهم الرسل المؤيدين بالآيات البينات قطعاً لحجتهم، قال تعالى: ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾، وقال تعالى: ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾؛ فهذه هي الحجة التي قطعها الله تعالى بإرساله الرسل حيث يقول جل وعز: ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾، فألزم الخليقة بهؤلاء الرسل الحجة، وأوضح لهم بواسطتهم المحجة، وفضّل بعض هؤلاء الرسل على بعض، قال تعالى: ﴿ تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض، منهم من كلّم الله، ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾، اللهم صلّ وسلم على سائر أنبيائك وعلى خير نبي ختمت به الرسالة، وقرنت اسمه باسمك ورفعت ذكره بذكرك محمد بن عبد الله سيد ولد آدم صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد؛ فإن من تدبر كتاب الله العزيز، وأعطاه الله حظاً من الاطلاع على سنة رسول الله ﷺ، بهره فائض النصوص التي تنبئ بمكانة محمد ﷺ عند ربه عز وجل بما حباه الله به من خصائص لم يعطها غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وقد عني بعض أهل العلم بجمع هذه الخصائص وتدوينها، ومن جملة من اعتنى بذلك محبة رسول الله ﷺ أم الخيرات بنت أحمد المختار الجكني المتوفاة في عشرين شوال سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة بمكة المكرمة، فقد تعرضت بنظم ما وقفت عليه من هذه الخصائص بنحو مائة وعشرين بيتاً من الرجز، وقد كنت استجلبت بعض أبيات هذا النظم مع خادم العلم الشريف الصديق فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري مدير عام إدارة إحيـاء التراث الإسلامي بدولة قطر الشقيقة، فـألزمني، حفـظه الله بالحصول على هذا النظم وتمكينه من نشره كعادته في نشر ما يراه نافعاً من العلوم تعميماً للفائدة، فرأيت أن أجمع ما أمكنني من أدلة تتوج مسائل هذا النظم، ولقد كانت هذه رغبة الوالدة عليها رحمة الله، فقد طلبت مني شرح خصائصها هذه وشرح نظمها على دلائل نبوته ﷺ الذي بلغ ألفاً وسبعمائة بيت من الرجز، عقدت بذلك متن شفا عياض ممزوجـاً بكلام شهـاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض على الشفا لعياض.

وليس من الغلو في القول إذا قيل إن هذه السيدة المولودة في بادية موريتانيا في العقد الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة، والتي أفنت جل حياتها لم تر حاضرة قط مع ما أعطاها الله من التبحر في فنون العلم معقوله ومنقوله، ليس غلواً أن يقال إنها من نوادر الزمان، إلا أنه لا غرابة في ذلك لأنها عاشت في أحضان العلم. ولعل من اطلع على رحلة فضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، يلاحظ أن أول سؤال في هذه الرحلة كان من قبل هذه السيدة في مدينة كيفا حيث سألته عن مبحث الفرق الدقيق بين اسم الجنس وعلم الجنس، وكان لها اطلاع واسع في سيرة

رسول الله ﷺ، فلها نظم في مَنْ أشبه رسول الله ﷺ في خلقه، منه قولها:

وبعد فالْحُسْنُ من الْحسَيني مقبس من حسن ذا الأمين
وخَلْقه وخُلْقه لم يكملا لأحد من الأنام مسجلا
لكنه تشبهه البتولُ والنجل إبراهيم ذا المنقول
والحسن المسود الكريم ونجله الفاضل إبراهيم الخ

ولها قصائد في مدح رسول الله ﷺ، منها رائيتها من الرجز المشطور التي تقول فيها:

أيا شهور السنة الإحدى عشرْ
عليكمُ تاهَ ربيع وافتخرْ
بكون نور الكون فيه قد ظهرْ
مولده وبعثه إلى البشرْ
وفيه هاجر ونحو المستقرْ
مضى مبجلاً بأكمل حبرْ

الخ. وهي طويلة جداً.

وكانت رحمها الله ذكية ذكاء فائق التصور، أتذكر يوماً قدم أحد طلبة والدنا ومعه رجل تظاهر بمعرفة أفراد العائلة بالسؤال عنهم فرداً فرداً وهي لا تعرفه، فأحبت السؤال عنه من غير أن يشعر، فقالت للطالب أتذكر قول ابن مالك:

والبدل المضمن الهمز يلي همزاً.....؟

ومعلوم أن تمام البيت:

كمن ذا؟ أسعيد أم علي

وكان الطالب هو الآخر ذكياً فسكت هنيهة ثم سأل الرجل ذاكراً اسمه واسم أبيه، سأله عن مسألة، فأشعرها به، والمعني لا يدري.

لقد رزقت أطفالاً من زوجها سيد محمد بن محمد الأمين اليوسفي، ثم

الجكني وقد قدمهم الله ذخراً لها في حياتها، فقد توفيت منقطعة، علينا وعليها رحمة الله تعالى، وصلى عليها ابن عمها الفاضل فضيلة الشيخ محمد الأمين ابن محمد المختار اليعقوبي ثم الجكني بوصية منها ودفنت في المعلاة في عشرين شوال سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة النبوية.

وقد أسميت كتابي هذا «وسائل القبول ونيل المأمول، بشرح نظم أم الخيرات لخصائص الرسول، ﷺ».

والله أرجو أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كل من قرأه أو حصله وأن ينيلنا به رضا الله عز وجل حتى يحشرنا في زمرة محمد ﷺ بجواره في جنة الخلد إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

مقدمة النظم

[الْحَمْدُ للهِ الَّذِي قَدْ خَصَّا
مِنْ خَلْقِهِ مَن شَاءَ أن يَخُصَّا][2]

---

(١) افتتحت رحمها الله بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز بل وذكر أن جميع الكتب السماوية افتتحت ببسم الله الرحمن الرحيم، ولخبر «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» أي ناقص غير تام.

(٢) والحمد لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري، سواء كان في مقابلة نعمة أم لا، بخلاف الشكر لغة والحمد عرفاً، فإن كل واحد منهما فعل ينبىء عن تعظيم المنعم من حيث إنه منهم فكل منهما ثناء بغير لسان في مقابلة الإحسان.

وأما الشكر عرفاً فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من النعم إلى ما خلق لأجله: أي أن العبد يستعمل أعضاءه ومعانيه فيما طلب الشارع منه استعمالها فيه من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك. وأما المدح لغة فهو الثناء باللسان على الجميل الغير الاختياري كحسن اللؤلؤة وكطول القد وصفاء اللون على جهة التعظيم، وهو عرفاً ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل كمدح زيد مثلاً على رشاقة قده وحسن مبسمه.

ثم إن جملتي البسملة والحمدلة كل منهما خبرية لفظاً إنشائية معنى، =

[بِمَا يَشَاؤُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ
فَهْوَ الكَرِيمُ مُجْزِلُ الهِبَاتِ][٣]

= إذ المرادُ ببسم الله الرحمن الرحيم قصد الثناء على الله بمضمونها من أنه لا يبتدأ إلا باسمه جل وعلا الرحمن الرحيم، والمراد بقول الحمد لله الثناء على الله تعالى بأنه مالك لجميع الحمد من جميع الخلق وأنه المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص.

والله، علم على الذات المقدسة، قال في القاموس المحيط: واختلف فيه على عشرين قولاً ذكرتها في المباسيط، وأصحها أنه علم غير مشتق، وأصله إله كفِعالٍ بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبوداً إلهٌ عند متخذه بيِّنُ الإلاَهَةِ والأُلهانيّة. اهـ. منه.

وخصَّه بالشيء خصّاً وخصوصاً وخُصوصية ويفتح وخصِّيصَى وخصِّيصاء، وخَصِّية وتَخِصَّة، فضَّله، وخصّه بالود كذلك، انظر القاموس.

والخَلْقُ لغة التقدير، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري

والخالق في صفاته تعالى المبْدِعُ للشيء المخترع له على غير مثال سبق.

ومعنى البيت الثناء بالجميل على الله الذي فضل بعض مخلوقاته على غيرها بما شاء أن يخصها به؛ وفيه براعة استهلال، وهي عند أهل البلاغة: ابتداء الكلام بما يناسب المقصود الذي يريد المتكلم أن يتطرق إليه، وقد بينتها في نظمي على البلاغة بقولي:

والابتدا أحسنه التناسب لما به يقصد من يخاطب
يُدعى لذا براعة استهلال لما حوت من رونق الجمال

والمقصود من هذا النظم بيان خصائص رسول الله ﷺ ولذلك فقد أبدعت، عليها رحمة الله، في براعة استهلالها هذه.

(٣) وما هنا بمعنى الذي، ويشاؤه، يريده، والخيرات جمع خير، والمجزل، =

[الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ بِالْيَقِينِ
مِنْ غَيْرِ مَا شِرْكٍ وَلاَ مُعِينِ][٤]
[ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلى مَنْ أُتْحِفَا
مِنْ خَيْرَيِ الدَّارَيْنِ مَا قَدْ أُتْحِفَا][٥]
[مُطوَّق الأَنَام بِاللَّئَالِي
مِنْ عِلْمِه وَقَائِمِ اللَّيَالِي][٦]

= المكثر، مُفعل بضم الميم من أجزل، والهبات: جمع هبة.

(٤) والمراد بقولها: الفاعل المختار، الله جل جلاله فهو الفاعل بالاختيار على الإطلاق فهو سبحانه وتعالى الفعال لما يريد.

(٥) والصلاة هنا الرحمة المقرونة بالتعظيم، قال في القاموس: والصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله عز وجل على رسوله ﷺ.

وأتحفته تحفة بالضم وسكون الحاء وقد تحرك الحاء، أوصلته براً، ومعنى البيت: والدعاء والرحمة والغفران وحسن الثناء من الله عز وجل على الذي قد أعْطى من خير الدنيا والآخرة ما قد أُعطي مما لا يعلمه إلا الله جل جلاله، وعبرت بما للتنويه بما أعطاه الله تعالى من فضل لرسوله ﷺ.

(٦) ومطوق مُفعِّل من الطوق وهو حلى للعنق، وكل ما استدار بشيء، جمعه أطواق، وتطَوَّقَ شيئاً لبسه، والأنام، المراد به الخلق والبرية، واللئالي، اللؤلؤ وهو الدر واحده بهاء، والمعنى أنها وصفت رسول الله ﷺ بأنه ألبس البرية الجواهر النفيسة من علمه الذي علّمه ربه وأمره بتبليغه، ووصفته كذلك بالمثابرة في عبادة ربه جل وعلا بقيام الليل وهو أمر واجب في حقه ﷺ بموجب قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ﴾ الآية، وقوله تعالى في الإسراء: ﴿ فتهجد به نافلة لك ﴾ الآية.

[مَنْ أَهَّلَ الْقُلُوبَ لِلصَّفَاءِ
بِالسَّيْفِ وَالْوَعْظِ وبِالْعَطَاءِ][٧]

---

(٧) أهَّل القلوب أي جعلها أهلاً، يقال أهَّله تأهيلاً وآهله، رآه آهلاً، والصَّفو نقيض الكدر كالصفا، وصفوة الشيء مثلثةً ما صفا منه كصفوه، اهـ. القاموس ومعنى البيت: الذي جعل القلوب أهلاً لأن تكون صافية من أدران الشرك بالوعظ إن أفاد فيها الوعظ وبالسيف إذا اقتضى الأمر أي بالجهاد في سبيل الله وبالعطاء السخي كما وقع للمؤلفة قلوبهم بالجعرانة؛ فقد أعطى يومئذ مائة من الإبل لكل من: أبي سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، وعلقمة بن علاثة، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، والحارث بن هشام، وجبير بن مطعم، ومالك بن عوف النّصري، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن الفزاري، وصفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، نسب ذلك ابن كثير في السيرة إلى ابن إسحاق.

وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال: ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين، وهو أبغض الخلق عليّ حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه، وفي السيرة: أنه كان يمشي إلى جانب رسول الله ﷺ فرأى غنماً سدت بين جبلين فنظر إليها حتى مالت عنقه، فسأله رسولُ الله ﷺ: «أتحب هذا؟»، فقال: بأبي وأمي أنت، ومن يكره هذا؟ فقال: «هو لك» فجاء إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى فاقة.

وأخرج البغوي بسنده من حديث محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر ابن عبد الله يقول: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لا، أخرجه مسلم في صحيحه، وأخرجه البخاري في الأدب جـ ١٠/٣٨١. وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان أجوَد الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة في رمضان =

[[مُحَمَّدٍ مَفْزَعُنَا إِلَيْهِ
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أخيه]](٨)

= فيدارسه القرآن، وكان رسول الله إذا لقيه جبريل أجود من الريح المرسلة.

هذا حديث متفق عليه. أخرجه البخاري عن موسى بن إسماعيل، وأخرجه مسلم عن محمد بن جعفر بن زياد كلاهما عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب. ولو استرسلنا في ذكر ما جاء في جوده ﷺ لحصل الطول، والله الموفق.

(٨) الفزع بالتحريك الذعر والفَرَقُ والفعل فزِع بالكسر وبالفتح فزعاً، والفرار بالكسر الروغان والهَرَبُ تقول إن هذا الذي تقدمت أوصافه والذي سألت ربها الصلاة عليه هو محمد ﷺ الذي وصفته أيضاً بأنه هو الذي تفزع الخلائق إليه يوم القيامة وهو اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وفصيلته التي تؤويه، تفزع الخلائق إليه في المحشر ليشفع لهم في الإراحة من شدة هول يوم القيامة، ففي صحيح مسلم، حدثنا أبو كامل فضيل بن حسين الحجدري، ومحمد بن عبيد الغبري واللفظ لأبي كامل قالا: ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك»، وقال ابن عبيد فيلهمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال: فيأتون آدم ﷺ فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله تعالى، قال فيأتون نوحاً عليه السلام، فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، قال =ا

[وَآلِـهِ وصَـحْـبِـهِ الأقـمـارِ
مَـا اتَّـصَـفَ الـحَـقُّ بـالإخْـتِـيَـارِ][9]
[وَبَـعْـدُ فالأمِـيـنُ خَـصَّـهُ الْـعَـلِي
بِمَـا يَـدُلُّـكَ عَلى الْفَضْـلِ الْجَلِي][10]

= فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال رسول الله ﷺ فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال: يا محمد ارفع رأسك قل يسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع رأسك يا محمد قل يسمع، سل تعطه، اشفع تشفع الخ... الحديث. وسوف يأتي مزيد لذلك في الكلام على المقام المحمود، والله الموفق.

(٩) آله ﷺ هم المؤمنون من بني هاشم، قيل ومن بني المطلب، وأما صحبته ﷺ فهي ثابتة لمن اجتمع به مؤمناً به ومات على ذلك ولو تخللت ذلك ردة كالأشعث بن قيس، وما في قولها ما اتصف الحق، هي مصدرية ظرفية أي مدة اتصاف الحق سبحانه وتعالى بكونه فاعلاً مختاراً.

(١٠) وبعدُ، كلمة يستعملونها للانتقال إلى ما يلائم ما شببوا به، ويسمونها اقتضاباً، وكذلك أما بَعْدُ، قيل وهي فصل الخطاب، وقد ذكرت ذلك في نظمي على البلاغة بقولي:

والانتقال رُبَّما بدون ما ملائم، وذا اقتضاباً عُلِمَا
وبَعْدُ، أمّا بَعْدُ من ذا الباب قيل، وذاك الفصل للخطاب

والأمين لقبه ﷺ الذي لقبته به قريش قبل أن يبعث رسولاً لشدة =

[أَقْسَامُهِ أَرْبَعَةٌ فِيمَا نُمِي
فَرْضٌ، ومَحْظُورٌ، وذَا فَلْتَعْلَمِ][11]
[لِكَوْنِهِ أَقْوَمَ بِالْمَفْرُوضِ
وكَثْرَةِ الثَّوَابِ فِي الفُرُوضِ][12]
[مِنْ ذَيْنِ مَحْظُورٌ عَلى ذِي الأُمَّهْ
وَوَاجِبٌ فِي حَقِّهِ لِلْحُرْمَهْ][13]
[ثَالِثُهَا إِبَاحَةٌ تَسْهِيلاً
عَلَيْهِ تَشْرِيفاً لَهُ تَبْجِيلاَ][14]

= أمانته وصدقه ﷺ، وخصّه، فضله، كما تقدم، والعلي، صفة جلال وكمال ثابتة نقلاً لله تعالى على ما يليق بجلاله، وما في قولها بما بمعنى الذي، ودلّه عليه دلالة وتثلث، سدده إليه، والفضل ضد النقص وقد فضل كنصر والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل، والجليّ كغنيّ، الواضح.

(١١) الضمير في أقسامه يعود إلى الفضل الواضح الذي فُضل به ﷺ، ونميت الأمر رفعته وعزوته، والفرض ما أوجبه الله تعالى في الاصطلاح وأصله القطع، والمحظور الممنوع وحظر الشيء وعليه منعه وحجر.

(١٢) ومعنى ما في هذا البيت أن الله تعالى خصه بمفروض عليه دون الأمة لما في القيام بالفرض من الثواب، ومنعه من فعل أشياء دون الأمة لما في اجتناب المحرمات من الأجر، ولأنه ﷺ أشد تمكناً من نفسه وأشد مقدرة على القيام بما فرضه الله عليه.

(١٣) وقولها من ذين محظور البيت. اسم الإشارة إلى الواجب والمحظور، ومن فيه معناها التبعيض، أي ومما خص به ﷺ أشياء حرمها على الأمة في حقه عليه الصلاة والسلام، وأشياء أوجبها على الأمة في حقه ﷺ تكريماً له وتشريفاً له.

(١٤) والقسم الثالث هو إباحة تخصه إباحتها دون الأمة تسهيلاً وتشريفاً =

. . . . . .

= وتكريماً. قلت: ذكر القرطبي في التفسير جـ ١٤/ص ٢١١ في الكلام على المسألة السادسة عشرة عند قوله تعالى: ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيء إن أراد النبيء أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ من سورة الأحزاب، ما نصه:

خص الله رسوله في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل، مزية على الأمة وهبت له، ومرتبة خص بها، ففرضت عليه أشياء ما فرضت على غيره، وحرمت عليه أفعال لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحلل لهم، منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه، فأما الفروض فتسعة:

الأول: التهجد بالليل، يقال إن قيام الليل كان واجباً عليه حتى مات ﷺ لقوله تعالى: ﴿ يأيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ﴾ الآية. والمنصوص أنه كان واجباً عليه ثم نسخ لقوله تعالى: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾.

الثاني: الضحى.

والثالث: الأضحى.

والرابع: الوتر، وهو داخل في التهجد.

والخامس: السواك.

والسادس: قضاء دين من مات معسراً.

والسابع: مشاورة ذوي الأحلام في غير الشرائع.

الثامن: تخيير النساء.

التاسع: إذا عمل عملاً ثبت عليه، وزاد غيره: وكان يجب عليه إذا رأى منكراً أنكره وأظهره لأن إقراره لغيره على ذلك يدل على جوازه - ذكره صاحب البيان.

وأما ما حرم عليه فجملته عشرة: =

. . . . . .

الأول: تحريم الزكاة عليه وعلى آله.

الثاني: صدقة التطوع عليه.

الثالث: خائنة الأعين، وهو أن يظهر خلاف ما يضمر، أو ينخدع عما يجب، وقد ذم بعض الكفار عند إذنه ثم ألان له القول عند دخوله.

الرابع: حرم الله عليه إذا لبس لأمته أن يخلعها عنه أو يحكم الله بينه وبين عدوه.

الخامس: الأكل متكئاً.

السادس: أكل الأطعمة الكريهة الرائحة.

السابع: التبدل بأزواجه، وسيأتي.

الثامن: نكاح امرأة تكره صحبته.

التاسع: نكاح الحرة الكتابية.

العاشر: نكاح الأمة، ونزهه عن قول الشعر وتعليمه وعن الكتابة تأكيداً لحجته وبياناً لمعجزته ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾.

وأمّا ما أحله له دون الأمة فجملته ستة عشر:

الأول: صفي المغنم.

الثاني: الاستبداد بخمس الخمس أو بالخمس.

الثالث: الوصال.

الرابع: الزيادة على أربع نسوة.

الخامس: النكاح بلفظ الهبة.

السادس: النكاح بغير ولي.

السابع: النكاح بغير صداق.

الثامن: نكاحه في حالة الإحرام.

التاسع: سقوط القسم بين الزوجات عنه.

العاشر: دخول مكة بغير إحرام مقاتلاً.

[وَكُلَّ ذَا أَهْلُ الْفُروعِ ذَكَرُوا
مَحَلَّهُ مُبَيَّناً وحَرَّرُوا](١٥)

= **الحادي عشر**: لا يورث.

الثاني عشر: بقاء زوجيته بعد الموت. اهـ. منه.

قال الفقهاء: هذه الخصائص منها ما ورد في القرآن، ومنها ما ورد في السنة، ومنها ما هو مختلف فيه، ومنها ما هو متفق عليه.

(١٥) وقولها عليها رحمة الله: وكل ذا أهل الفروع الخ... تشير به إلى باب الخصائص في الفروع وقد ذكره في مختصر خليل باب: خص النبي ﷺ بوجوب الضحى والأضحى والتهجد، والوتر بحضر، والسواك، وتخيير نسائه فيه، وطلاق مرغوبته، وإجابة المصلى، والمشاورة وقضاء دين الميت المعسر، وإثبات عمله، ومصابرة العدو الكثير، وتغيير المنكر، وحرمة الصدقتين عليه وعلى آله، وأكله الثوم، أو متكئاً، وإمساك كارهته، وتبدل أزواجه، ونكاح الكتابية والأمة، ومدخوليته لغيره، ونزع لأمته حتى يقاتل، والمنّ ليستكثر، وخائنة الأعين، والحكم بينه وبين محاربه، ورفع الصوت عليه، وندائه من وراء الحجرة، وباسمه، وإباحة الوصال، ودخول مكة بلا إحرام وبقتال، وصفيّ المغنم، والخمس، ويزوج من نفسه ومن شاء وبلفظ الهبة، وزائد على أربع، وبلا مهر ووليّ وشهود، وبإحرام، وبلا قسم، ويحكم لنفسه وولده، ويحمى له، ولا يورث. اهـ.

قلت: ومن خصائصه أنه يحكم وهو غضبان بخلاف غيره، لحديث البخاري أنه حكم للزبير بن العوام على الأنصاري الذي أحفظه إذْ قال: إن كان ابن عمتك! وفي صحيح مسلم أن نومه ﷺ لا يوجب وضوءاً.

ومن خصائصه أنه يباح له أخذ الطعام والشراب من الجائع والعطشان، وإن كان من هو معه يخاف على نفسه الهلاك، وذلك لقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿النبيء أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ الآية. =

[والـرَّابِـعُ اخْـتِـصَـاصُـهُ بِـشَـيٍّ
دَلَّ عَـلى تَـفْـضِـيـلِ ذَا الـنـبـيِّ][16]
[وَهْـوَ الـذي أَرَدْتُ بِـالـتَّـعْـيـيـن
سَـأَلْـتُ عَـوْنَ رَبِّـيَ الـمُـعـيـن][17]

= ومن خصائصه أنه يجب على كل مسلم أن يقيه بنفسه، إلى غير ذلك، هذا، وقد حاولت إخراج أدلة هذه الخصائص في مواهب الجليل من أدلة خليل والله الموفق.

(١٦ و١٧) تقول إن الرابع من هذه الأقسام هو أنه اختصَّ من بين سائر إخوانه الأنبياء بشيء هو دليل واضح على فضله ﷺ، وهذا القسم الرابع هو موضوع نظمها هذا سائلة من الله جل وعلا العون على إتمام مرادها والله المستعان. قلت: ذكر إسماعيل بن كثير الدمشقي في تفسيره لقوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ ما نصه: قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، فهو أول من تنشق عنه الأرض، ويبعث راكباً إلى المحشر، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر وارداً منه، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق، وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول أنا لها كما سنذكر ذلك مفصلاً في هذا الموضع إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها، وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته، وأولهم إجازة على الصراط بأمته، وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم. وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته، وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم، ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم، وهو =

فـأحْـمَـداً قَـدْ خَـصَّـهُ رَبُّ الْـفَـلَقْ
بِـكَـوْنِـهِ أوَّلَ الأشْـيَـا خَـلَقْ][18]
[أيْ بَـدَأ الْـحَـقُّ بِـرُوحِ الْـمَـاحِي
مِنْ قَبْـلِ خَـلْقِ سَـائِـرِ الأَرْوَاحِ][19]
[وبِـالـنُّـبُـوَّةِ لـهَـا قَـدْ شَـرَّفَـا
لِيُعْلِمَ الْمَـلأَ الأعْـلَى الاصْـطِفـا][20]
[فَـهِـيَ وَصْـفُ رُوحِـهِ الـكَـرِيـمَـهْ
وَلَمْ تَـزُلْ بِـالْمَـوْتِ ذِي عَـظِيمـة][21]
[ولاَ يـضُـرُّ ذَا انْـقِـطَاعُ الْـوَحْـي
بَـعْـدَ كَمَـالِ دِينِـهِ بِـالْـوَحْـي][22]
[مُـرَادُهُـمْ قُـوَّةُ الاسْـتِـعْـدَادِ
لِلْوَحْيِ ، لا الْـوَحْـيُ ، وذَاك بَـادِ][23]

= صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لا تليق إلا له، وإذا أذن الله في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى، ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص ولله الحمد والمنة. اهـ. منه بلفظه. غير أني بالرجوع إلى البداية والنهاية لم أجد أثراً لباب الخصائص والفضائل الذي أحالني عليه في التفسير إلا أنه في ص ٢٥٧ جلد ٦ قال: وقد تقدم في الخصائص ذكر ما اختص به رسول الله ﷺ عن بقية إخوانه الأنبياء عليهم السلام. اهـ. وربك أعلم بالذي حمل المطبعة على حذف باب خصائص رسول الله ﷺ وفضائله.

(١٨ ـ ٢٣) الفَلَقُ محركة الخلق كله، والصبح، والماحي من أسمائه ﷺ فقد ورد في الحديث، أخرجه الموطأ «وأنا الماحي الذي =

. . . . . .

= يمحو الله بين الكفر» ـ والاصطفاء الاختيار ومرادها بهذه الأبيات، والله تعالى أعلم، أن الله خص نبيه ﷺ محمداً بكونه أول الخلق في عالم الأرواح، وذلك ظاهر من قولها: أي بدأ الحق بروح الماحي، والحق من أسمائه جل وعلا الحسنى، وأن الله أراد بخلق روحه ﷺ قبل خلق سائر الأرواح وتشريفها بالنبوة، إعلامَ أهل الملأ الأعلى أنه اصطفى هذا العبد، وقالت إن النبوة لما صارت وصفاً لروحه الشريفة لا تزول بعارض الموت لجسده الشريف، وهي خصوصية من أعظم ما خُصَّ به ﷺ، وقالت: ولا تعارض بين استمرار نبوته حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وبين انقطاع الوحي بعد أن كمل الدين به، بل المراد أنه في حياته البرزخية الشريفة التي تليق بمقامه عند الله حي حياة تفوق حياة الشهداء يستعد بموجبها لتلقي الوحي لو كان وحي إلا أنه لا وحي لأن الوحي قد انقطع بعد كمال الدين.

وفي سيرة ابن كثير جـ ١ ص ٣١٧ ما نصه: وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طرق عن الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: سئل النبي ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ فقال: «بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ ونَفْخِ الرُّوح فيه». وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم، وقال حسن غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي، حدثنا أبو جعفر النُّفَلي، حدثنا عمرو بن واقد، عن عروة بن رويم، عن الصُّنابحي قال: قال عمر: يا رسولَ الله متى جعلت نبيًّا؟ قال: «وآدَمُ مُنْجَدِلٌ في الطِّينِ»، ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم، عن قيس بن ربيع، عن جابر الجُعفي، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ» ـ =

. . . . . .

= قال: وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الأنبياء بنور بين أعينهم ـ والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد ﷺ كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم، وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره.

وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الإمام أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي عِنْدَ الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبؤكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات المؤمنين يرين». ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن صالح، عن معاوية ابن صالح: «إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشّام»، وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا منصور بن سعيد، عن بديل، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ»، وإسناده جيد أيضاً.

وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان، وحماد بن زيد، وخالد الحذّاء، عن بديل بن ميسرة به. ورواه أبو نعيم، عن محمد بن عمر بن أسلم، عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي، عن شيبان، عن الحسن بن دينار، عن عبد الله بن سفيان، عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ».

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد ابن مسلم، عن خليد بن دعلج، وسعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن =

. . . . . .

= أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث».

ثم رواه من طريق هشام بن عمَّار عن بقية، عن سعيد بن نُسير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله.

وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله. وهذا أثبت وأصح، والله أعلم. وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح، لأن علم الله سابق بذلك قبل خلق السموات والأرض لا محالة، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملإ الأعلى، والله أعلم.

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر، عن همَّام، عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه: «نَحْنُ الآخِرونَ السَّابِقُونَ يومَ الْقيامَةِ، المَقْضِيُّ لهم قبل الْخَلائق بيد أنَّهم أوتُوا الكتاب من قبلنا وأوتيناهُ من بعدهم»، وزاد أبو نعيم في آخره: فكان ﷺ آخرهم في البعث وبه خاتم النبوة، وهو السَّابقُ يوم القيامة، لأنه أول مكتوب في النبوة [illegible]. ثم قال: ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله ﷺ لِما أوجب [illegible] النبوة قبل تمام خلق آدم، ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو [illegible] الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر [illegible]. وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه ولله الحمد. اهـ. من سيرة ابن [illegible] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى جـ ١١ ص ٩٧:

[illegible] ولد آدم هو محمد ﷺ ـ آدم فمن دونه تحت لوائه ـ قال ﷺ: [illegible] الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»، أي [illegible] وأظهرت لما خلق الله آدم قبلَ نفخ الروح فيه كما يكتب الله =

. . . . . .

= رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد إذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. اهـ. منه بلفظه.

وفي صحيح الترمذي: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع بن الوليد البغدادي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدمُ بين الرُّوحِ والجسد»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال ابن حجر الهيتمي في أشرف[1] الوسائل على الشمائل بحثاً في هذا الموضوع أطال فيه، جاء فيه: وصح أيضاً يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»، وروى الترمذي وحسنه «يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟» قال: «وآدم بين الروح والجسد» ومعنى وجوب النبوة كتابتها وثبوتها وظهورها في الخارج نحو ﴿كتب الله لأغلبن﴾ الآية، ﴿وكتب عليكم الصيام﴾ الآية والمراد ظهورها للملائكة وروحه ﷺ في عالم الأرواح إعلاماً بعظم شرفه وتمييزه على بقية الأنبياء، وخص الإظهار بحالة كون آدم بين الروح والجسد لأنه أوان إلى دخول الأرواح في عالم الأجساد والتمييز حينئذ أظهر وأتم.

ونسب للسبكي[2] أنه جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد فالإشارة بقوله ﷺ: «كنت نبياً» إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقة من حقائقه لا يعلمها إلا الله عز وجل ومن حباه الله الاطلاع عليها، فإنه تعالى يؤتي =

. . . . . .

(١) نقلته من نسخة مخطوطة في مكتبة جدنا أحمد بن المختار الجكني رحمه الله.

(٢) ما نسبته للسبكي وجدته في تقييدات قديمة ولا أدري من أي كتبه أخذته، فأثبته لسلامة ألفاظه والله الموفق.

. . . . . .

= كل حقيقة مهما شاء في أي وقت شاء، فحقيقته ﷺ قد تكونت له حين خلق آدم أتاه الله ذلك الوصف وصيره نبياً من ذلك الحين وكتب اسمه على العرش لتعلم الملائكة وغيرهم كرامته عند ربه، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها حينئذ، فإتيانه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاتها معجل لا تأخر فيه، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام إلى أن ظهر ﷺ من بين أبويه، قال: ومن فسر ذلك بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فيه، وإلا لم يختص بأنه نبي إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلم الله تعالى.

وأخرج ابن سعد عن الشعبي متى استنبئت يا رسول الله؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق» وهو يدل على أن آدم لما صور طيناً استخرج منه محمد ﷺ ونبىء وأخذ منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهره ليخرج أوان ظهوره فهو أولهم خلقاً وخلق آدم السابق كان مواتاً لا روح فيه، قال: ولا ينافي هذا أن استخراج ذرية آدم إنما كان بعد نفخ الروح فيه لاحتمال أن يكون محمد ﷺ خص من بني آدم بذلك الاستخراج الأول، والله أعلم.

وناسب المقام أن نذكر شيئاً عن نسبه ومولده ﷺ.

أما نسبه فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن مَعَدّ بن عدنان.

ورد عنه قوله ﷺ: «خرجت من نكاح لا من سفاح»، قال عبد البرزاق، أخبرنا ابن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أبي جعفر =

. . . . . .

= الباقر في قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾، قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، وقال رسول الله ﷺ: «إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»، قال ابن كثير في السيرة: وهذا مرسل جيد، وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن إسحاق الصنعاني، عن يحيى بن أبي بكير، عن عبد الغفار بن القاسم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح».

وقد رواه ابن عدي موصولاً فقال: حدثنا أحمد بن حفص، حدثنا محمد بن أبي عمرو العدني المكي، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين قال: أشهد على أن أبي حدثني عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»، قال ابن كثير: هذا الحديث لا يكاد يصح، قلت: لقد ورد من طرق كثيرة يعضد بعضها البعض.

تنبيــهٌ: قال عياض في الشفاء: أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء أممهم، فقد منع الله بحكمته أن يتسمى به أحد غيره، ولا يدعي به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك.

وأما محمد، فلم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم حتى شاع قبيل وجـوده ﷺ وميلاده أن نبياً يبعث اسْمه محمد، فسمى قوم قليلون من العرب أبناءهم محمداً رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها له أحد، وهؤلاء المحمدون هم: محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن برّاء البكري، ومحمد بن =

. . . . . .

= سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي. ستة فقط لا سابع لهم. اهـ.

مولـده ﷺ

ولد صلوات الله وسلامه يوم الإثنين، لما رواه مسلم في صحيحه من حديث غيلان بن جرير بن عبد الله الزِّمَّاني، عن أبي قتادة أن أعرابياً قال: يا رسول الله، ما تقول في صوم يوم الإثنين؟ فقال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدتُ فيه وأنزل عليَّ فيه». وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعَة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، واستنبىء يوم الإثنين، وخرج مهاجراً يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين، ورفع الحجر يوم الإثنين. قال ابن كثير تفرد به أحمد. ثم قال:

والجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول، فقيل لليلتين خلتا منه، قاله ابن عبد البر في الاستيعاب، ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني. وقيل: لثمان خلون منه، حكاه الحميدي عن ابن حزم، ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه: التنوير في مولد البشير النذير. وقيل: لثنتي عشرة خلت منه، نص عليه ابن إسحاق، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفَّان، عن سعيد بن ميناء، عن جابر وابن عباس أنهما قالا: ولد رسول الله ﷺ عامَ الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عُرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات، ﷺ، وهذا هو المشهور عند الجمهور. =

. . . . . .

= انظر سيرة ابن كثير. وقالت أم الخيرات بنت أحمد المختار الجكنية صاحبة نظم الخصائص هذا في مطلع مديحية لها من الرجز المشطور:

أيا شهور السنة الإثنا عشرْ عليكمو تاه ربيع وافتخرْ
بكون نور الكون فيه قد ظهرْ مولدُه وبعثُه إلى البشرْ
وفيه هاجر ونحو المستقرْ مضى مبجلاً بأكمل حبرْ

الخ... وهي قصيدة طويلة لا يحضرني منها غير هذا.

والذي عليه الجمهور أن رسول الله ﷺ وُلد في ربيع الأول عامَ الفيل فقيل بعده بشهر، وقيل بأربعين يوماً، وقيل بخمسين يوماً وهو المشهور. وعن أبي جعفر الباقر: كان قدوم الفيل للنصف من المحرم، ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة؛ وقيل غير ذلك والمعول على ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق.

ولما أراد الله ظهور النبي محمد ﷺ، ذهب عبد المطلب بن هاشم بولده عبد الله إلى وهب بن عبد مناف بن زهرة فزوجه بنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ أشرف امرأة في قريش، وحين دخل بها وأفضى إليها حملت بسيد ولد آدم عليه صلوات الله وسلامه.

وكانت أم قتّال رُقَيْقَةُ بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل قد تعرضت لعبد الله متوسمة ما بين عينيه من النور فودت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد ﷺ وأنه قد أزف زمانه، فعرضت نفسها ليتزوجها، قال بعضهم وهو الأظهر، والله أعلم، فامتنع عليها، وقال:

أمّا الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه فكيف بالأمر الذي تبغينه؟

وزعم أهل التاريخ أنه لما دخل على آمنة بنت وهب حين ملكها حملت برسول الله ﷺ، ثم خرج من عندها فمر بالمرأة التي عرضت

. . . . . .

= عليه نفسها، فقال لها مالك: لا تعرضين عليَّ اليوم ما كنت عرضت بالأمس؟ فقالت: فارقك النور الذي كان معك، وقالت أسفاً على ما فاتها من الأمر الذي كانت تريده، وذلك ذكر ابن كثير أنه رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق رحمه الله:

عليك بآل زهرة حيث كانوا وآمنةَ التي حملت غلاما
ترى المهديّ حين نزا عليها ونوراً قد تقدّمه أماما

الخ... وتوفي والده وهو حمل في بطن أمه على أشهر الروايات، وهو أبلغ اليتم وأعلى مراتبه.

وقال محمد بن إسحاق: كانت آمنة بنت وهب أمُّ رسول الله ﷺ تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حملت بسيِّد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، من كل برٍّ عاهد، وكل عبدٍ رائد، يذود عني ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد، وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشَّام، فإذا وقع فسميه محمَّداً، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في الإنجيل أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد.

وأخرج ابن كثير بسنده عن أبي سويد الثقفي، عن عثمان بن أبي العاص، حدثتني أُمِّي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسولَ الله ﷺ ليلة ولدته، قالت: فما شيء أنظره في البيت إلَّا نور، وإنِّي لأنظر إلى النجوم تدنو حتى أنِّي لأقول لتقعنَّ عليَّ. وذكر القاضي عياض عن الشِّفَّاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابلته وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهلَّ سمعت قائلاً يقول: يرحمك الله وإنه سطع منه نور رئيت منه قصور الروم. =

. . . . . .

= قال ابن إسحاق: فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها، فقالت: قد ولدك غلام فانظر إليه، فلما جاءها أخبرته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها به، وما أمرت أن تسمِّيه، فأخذه عبد المطلب فأدخله جوف الكعبة وقام يدعو ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد سادَ في المهدي على الغلمان ... أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتَّى يكون بُلْغَةَ الفتيان ... حين أراه بالغ البنيان
أعيذُه من كل ذي شنْآن ... من حاسد مضطرب العنان
ذي هَمَّةٍ ليس له عينان ... حتى أراه رافع اللسان
أنت الذي سمِّيت في القرآن ... في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على اللسان

وأخرج ابن كثير بسنده عن طريق البيهقي إلى الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً، قال: فأعجب جده عبد المطلب وحظي عنده وقال: ليكونن لابني هذا شأن، فكان كما قال ـ وقال ابن كثير: هذا الحديث في صحته نظر، لكنه أخرج مثله بسند عن طرق ابن عساكر بسنده عن أنس، وعن طريق محمد بن محمد ابن سليمان بسنده عن نافع عن ابن عمر، وعن طريق أبي نعيم بسنده عن ابن عباس عن أبيه، وقال ابن كثير: وقد ادَّعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق، حتى زعم بعضهم أنه متواتر، قال: وفي هذا نظر.

وقال: ولما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً، فقالوا: يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، ما سمّيته؟ قال: سمَّيته محمداً، قالوا: ولم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض. والمحمَّد هو الجامع لصفات =

. . . . . .

= الخير عند أهل اللغة، قال الشاعر:

إليك ـ أبيت اللعن ـ أعملت ناقتي إلى الماجد القرم الكريم المحمّد

وحكى السهيلي فيما نقل عنه ابن كثير، أنه نقل عن تفسير بقيّ بن مَخْلد الحافظ، أن إبليس رنَّ أربع رنات: حين لُعِنَ، وحينَ أُهْبِطَ، وحينَ وُلِدَ محمد ﷺ، وحين أنزلت سورة الفاتحة.

ولما ولد ﷺ كانت أمُّ أيمنَ بَرَكَةُ تحضنه، وكان قد ورثها من والده، فلما كبر أعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم. وأرضعته ثويبة مولاة عمه أبي لهب قبل رضاع حليمة السعدية له.

وأرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن خصفة، وأرضعته بلبن الحارث بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن ملاَّن بن ناصرة، يجتمع معها في ناصرة بن فصية؛ وكان عبد الله بن الحارث ظئره، وله من الإخوة أنيسَةُ بنت الحارث وخِدامة بنت الحارث وهي الشَّيْماء، وذُكِر أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمها إذْ كان عندهم.

وقصة رضاعه في بني سعد بن بكر وما كان من إرهاص أثناء ذلك موجود في كتب السيرة.

وبعد أن رجع إلى والدته كان عندها وعند جدِّه عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، ولما بلغت ست سنوات من ميلاده توفيت أمه آمنة بنت وهب، فكان ﷺ مع جدِّه عبد المطلب فقد ضمَّه إليه ورقَّ عليه رقَّة لم يرقَّها على أحد من ولده، وكان يقربه منه ويدنيه، ولما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته، وكان ذلك حين بلغ الثامنة من عمره. فكان ﷺ بعد وفاة جدِّه مع عمه شقيق =

[وكَـوْنُـهُ يَـوْمَ أَلَـسْـتُ أوَّلا
وَكَـوْنُـهُ أوَّلَ قَـائـل بَـلَى](٢٤)

= أبيه أبي طالب لأن أبا طالب أمه أم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. وكان أبو طالب يحب رسول الله ﷺ حبّاً شديداً ولا ينام إلا وهو بجنبه، وكان يخصُّه بالطعام، وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان إذا أراد أن يطعمهم قال: كما أنتم حتى يأتي ولدي، وإذا أتى رسول الله ﷺ وأكل معهم يُفْضِلونَ من طعامهم، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

قال ابن إسحاق: فشبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقاً وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمَهم أمانة، حتى كان معروفاً بالأمين في قومه لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

(٢٤) قالت: ومن خصائصه أنه أول من أخذ منه الميثاق يوم ألست بربكم، وأنه أيضاً هو أول قائل بلى ذلك اليوم، وتعني بقولها يوم ألست، ما يُشير إليه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتهمْ، وأَشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهم ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هذا غَـفِلِين ﴾، فإن كانت تريد أن تقرر له خصوصية الإخراج من ظهر آدم أولاً قبل الخلق ثم أعيد إلى ظهر آدم ليخرج من ظهره مع ذريته حين أخذ الميثاق، فإنها تنزع بذلك إلى ما قدمناه مما أخرجه ابن سعد عن الشعبي: متى استنبئت يا رسول الله؟ قال: «وآدَمُ بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق»، قال: وهو يدل على أن آدم لما صور طيناً استخرج منه ﷺ ونُبىء وأخذ منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهره ليخرج أوان ظهوره - إلى أن قال: ولا =

. . . . . .

= ينافي هذا أن استخراج ذرية آدم إنما كان بعد نفخ الروح فيه لاحتمال أن يكون محمد ﷺ خص من بين بني آدم بذلك الاستخراج الأول. اهـ. فعلى هذا يتجه قولها: وكونه يوم ألست أولاً والله أعلم.

قلت: قال ابن عطية في تفسيره لهذه الآية من سورة الأعراف، ما نصه: تواترت الآيات في تفسير هذه الآية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، وعن غير هذين أيضاً، أن الله لما خلق آدم، وفي بعض الروايات، لما أُهبط آدم إلى الأرض في دهناء من أرض السند، قاله ابن عباس، وفي بعضها أن ذلك بنعمان وهي عرفة وما يليها، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، مسح على ظهره، وفي بعض الروايات ضرب منكبه، فاستخرج منها أي من المسحة أو الضربة، نسم بنيه، ففي بعض الروايات كالذرِّ، وفي بعضها كالخردل؛ وقال محمد بن كعب: إنها الأرواح جعلت لها مثالات، وروى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، وجعل الله لهم عقولاً كنملة سليمان عليه السلام، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأنه لا إله غيره، فأقروا بذلك والتزموه، وأعلمهم أنه سيبعث الرسل إليهم مذكرة وداعية، فشهد بعضهم على بعض. وقال أبي بن كعب: أشهد عليهم السموات السبع، فليس من أحد يولد إلى يوم القيامة إلا وقد أخذ عليه العهد في ذلك اليوم والمقام.

وقال السدي: أعطى الكفار يومئذ العهد كارهين على وجه التقية.

قال ابن عطية: هذه نخيلة مجموع الروايات المطولة، وكأن ألفاظ هذه الأحاديث لا تلتئم مع ألفاظ الآية، وقد أكثر الناس في روم الجمع بينهما، فقال قوم: إن الآية مشيرة إلى هذا التناسل الذي في الدنيا، وأخذ بمعنى أوجد على المعهود، وأن الإشهاد هو عند بلوغ المكلف =

. . . . . .

= وهو قد أعطي الفهم، ونصبت له هذه الصنعة الدالة على الصانع، وذهب إلى هذا الزجاج وهو معنى تحتمله الألفاظ، لكن تفسير عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم الآية بالأحاديث المذكورة وروايتهما ذلك عن النبي ﷺ، يرد على ما ذكره الزجاج.

وطول الجرجاني في هذه المسألة، قال: ومدار كلامه على أن المسح وإخراج الذرية من ظهر آدم حسب الحديث. اهـ. منه بتصرف غير كبير في العبارة فقط.

وفي تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ الآية من سورة الأحزاب ما نصه: يقول الله تعالى مخبراً عن أولي العزم من الرسل الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ منهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم ﴾ الآية من سورة الأعراف، قال: فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وكذلك هذا، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولوا العزم من الرسل وهو من باب عطف الخاص على العام، وقد صرح بذكرهم أيضاً في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ﴾ الآية، قال فذكر الطرفين والوسط الخاتم والفاتح ومن بينهما على الترتيب، فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾، فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا سعيد بن بشير، حدثني قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم =

[وَكَـوْنُـهُ أَوَّلَ مَـبْـعُـوثٍ بَـدَا
عَـلَيْـهِ أَفْـضَـلُ الـصَّـلاةِ أَبَـدا](٢٥)

= ومنك ومن نوح ﴾ الآية، قال النبي ﷺ: «كنت أول النبيئين في الخلق وآخرهم في البحث فبدأ بي قبلهم» فيه سعيد بن بشير ضعيف. وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلاً وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً والله أعلم. إلى أن قال:

وقد قيل إن هذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: ورفع أباهم آدم فنظر إليهم يعني ذريته وأن فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال: رب لو سويت بين عبادك، فقال: إنّي أحببت أن أشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من النبوَّة والرسالة وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ وهذا قول مجاهد أيضاً. اهـ. منه. قلت: يوم أخذ هذا الميثاق هو ما تعنيه، عليها رحمة الله، بقولها: يوم ألست، والله تعالى أعلم.

(٢٥) أي وخص ﷺ وعلى آله وأصحابه وأهل ملته بكونه أول من تنشقُّ الأرض عنه يوم القيامة، فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأولُ من يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وأوّلُ شَافعٍ وأوّلُ مُشَفَّعٍ». وأخرج البغوي في السنة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولهم خروجاً، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أئسوا الكرامة، والمفاتيح يومئذ بيدي، ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون، أو لؤلؤ منثور». قال =

[وَكَوْنُهُ أَوَّلَ شَافِعٍ فَعُوا
وَكَوْنُهُ أَوَّلَ مَنْ يُشَفَّعُ][٢٦]

= البغوي: حديث غريب، قال شعيب: أخرجه الترمذي وسنده ضعيف وعلته ليث بن أبي سليم.

(٢٦) أي ومن خصائصه ﷺ كونه أول شافع وأول مشفع وهي شفاعته في فصل القضاء لأهل الموقف بعد مراجعة الخلائق لآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، فيقول كل واحد منهم: لست لها فيأتونه ﷺ فيقول أنا لها ويستأذن ربه فيأذن له فيشفع وتقبل شفاعته.

قال القاضي عياض في شفائه: وروى عنه ﷺ، أبو ذر وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله أنه قال: «أعطيت خمساً لم يعطهنَّ نبي قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصل، وأحِلّت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي، وبعثت إلى الناس كافة، وفي رواية بدل هذه الكلمة، وقيل لي سل تعطه.

قال شهاب الدين الخفاجي: وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها أحد من الرسل، فقال: «أنا لها» وخر ساجداً تحت العرش، فقال له الله ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، وفيه كمال الأدب إذْ لم يسأل حتى أذن له في السؤال وأمر به، وهذا في القيامة. انتهى منه بلفظه.

وسيأتي مزيد الكلام في الشفاعة في مبحث المقام المحمود إن شاء الله.

وله ﷺ شفاعات كثيرة شاركه في بعضها بعض الأنبياء، قال العلامة المختار بن بونا الجكني في رائيته:

وخمس شفاعات ومنها تخصه شفاعته الكبرى إذا فدح الأمر

فمن هذه الشفاعات شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب =

[وَكَـوْنُـهُ فـي الْـمَـوْقِـفِ الْـعَـظِيـمِ
أوّلُ مَـنْ يُكْسَى مِـن الْـعَـظِيـمِ][٢٧]
[مِن بَعْـدِ كسْـوَةِ الْخَـلِيـلِ الأَكْـرمِ
لِنَـزْعِ ثَـوْبِـهِ فِي ذَاتِ الأَعْـظَمِ][٢٨]

= وهذه مخصوصة به ﷺ كما سيأتي إن شاء الله.

ومنها شفاعته في قوم يستحقون النار فلا يدخلونها، ومنها شفاعته ﷺ في بعض أهل النار فيخرجون منها.

ومنها شفاعته في تخفيف عذاب بعض أهل النار كأبي طالب كما يدل عليه قوله ﷺ المتفق عليه: «هو في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

وسوف تأتي أحاديث الشفاعة بإذن الله في الكلام على المقام المحمود والله الموفق.

(٢٧ و ٢٨) مرادها رحمها الله من هذين البيتين بيان أن رسول الله ﷺ خصّ من بين إخوته الأنبياء بكونه يوم الحشر هو أول من يكسى في ذلك الموقف من بعد ما يكسى أبونا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، ثم بيّنت أن أسبقية إبراهيم الخليل في الكسوة ذلك اليوم حاصلة بسبب كونه جرد في ذات الله تعالى حين أراد قومه أن يلقوه في النار، لا لأنه أفضل من محمد ﷺ.

وقد ورد في ذلك ما أخرجه ابن كثير في الكلام على قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ فقد ذكر هنا حديثاً عن ابن مسعود، أخرج الإمام أحمد، حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا سعيد ابن الفضل، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا علي بن الحكم البناني، عن عثمان، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود قال: جاء ابنا مليكة إلى النبي ﷺ، فقالا: إن أمّنا تكرم الزوج وتعطف على الولد، قال: وذكر الضيف غير أنها كانت وأدت في الجاهلية، فقال: «أمكما =

[وكونه أول من يُؤْذَن لَهُ
لَدَى السُّجُودِ بالسُّجُودِ فاعْقِلَهْ](٢٩)

= في النار»، قال: فأدبرا والسوء يرى في وجوههما فأمر بهما فردا فرجعا والسرور يرى في وجوههما رجاء أن يكون قد حدث شيء فقال: «أمي مع أمكما»، فقال رجل من المنافقين: وما يغني هذا عن أمه شيئاً ونحن نطأ عقبيه، فقال رجل من الأنصار: ولم أر رجلاً قط أكثر سؤالاً منه: يا رسول الله هل وعدك ربك فيها أو فيهما شيئاً؟ فظن أنه من شيء قد سمعه فقال: «ما شاء الله ربِّي وما أطعمني فيه، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة»، فقال الأنصاري: يا رسول الله، وما ذاك المقام المحمود؟ قال: «ذاك إذا جيء بكم حفاةً عراةً غرلاً فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام: فيقول اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعده مستقبل العرش، ثم أوتي بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمينه مقاماً لا يقومه أحد فيغبطني فيه الأولون والآخرون»، قال: ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض، فقال المنافق: إنه ما جرى ماء قط إلا على حال أو رضراض فقال رسول الله ﷺ: «حاله المسك ورضراضه اللؤلؤ»، فقال المنافق: لم أسمع كاليوم فإنه قلما جرى ماء على حال أو رضراض إلا كان له نبت، فقال الأنصاري: يا رسول الله هل له نبت؟ فقال: «نعم قضبان الذهب» الخ.. الحديث انظر ابن كثير التفسير هنا.

(٢٩) مرادها به، والله تعالى أعلم، أن من خصائصه ﷺ كونه يوم أمر الخلائق في الموقف المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود ﴾ الآية من سورة القلم، أول مأذون في السجود.

وبخصوص هذا السجود نقل القرطبي في تفسيره هذه الآية في جـ ١٨ ص ٢٤٩ ما نصه: وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره: حدثنا الخليل بن أحمد، قال حدثنا بن منيع، قال حدثنا هدبة، قال حدثنا

. . . . . .

= حماد بن سلمة، عن عدي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة ابن أبي موسى، قال حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، ويبقى أهل التوحيد، فيقال لهم: ما تنظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا ولم نره، قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: فكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنه لا شبيه له، فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجداً وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فينظرون إلى الله فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قوله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون السجود فلا يستطيعون ﴾ الآية.

قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز، فقال: آلله الذي لا إله إلا هو لقد حدثك أبوك بهذا الحديث؟ فحلفت له ثلاثة أيمان، فقال عمر: ما سمعت في أهْل التوحيد حديثاً هو أحبّ إليَّ من هذا.

وقال قيس بن السكن: حدث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب، فقال: إذا كان يوم القيامة قام أهل الموقف لرب العالمين أربعين عاماً شاخصة أبصارهم إلى السماء، حُفاةً عراة يلجمهم العرق، فلا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم أربعين عاماً، ثم ينادي منادٍ أيها الناس أليسَ عَدْلاً من ربكم الذي خلقكم وصوركم وأماتكم وأحياكم، ثم عبدتم غيره، أن يُوَلِّيَ كل قَوْمٍ ما تَوَلَّوا؟ قالوا: نعم، قال: فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونه حتى يقذفهم إلى النار، فيبقى المسلمون والمنافقون، فيقال لهم: ألا تذهبون قد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا ربنا، فيقال لهم: أوتعرفونه؟ فيقولون: إن اعترف إلينا عرفناه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلى لهم، فيخر من =

[وكَـوْنُـهُ أوَلَ نَـاظِـرٍ إلَـى
وَجْـهِ الإلَـهِ جَـلَّ مَجْـداً وعُـلَا](٣٠)

= كان يعبده مخلصاً ساجداً ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن في ظهورهم السفافيد، فيذهب بهم إلى النار، ويدخل هؤلاء الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾.

قال القرطبي: ومعنى حديث أبي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري. اهـ. منه.

قلت: ويحتمل أن يكون قصدها بقولها: أوَّلَ من يؤذن له لدى السجود بالسجود، سجوده ﷺ للاستئذان في الشفاعة، والله أعلم.

(٣٠) تعني أن من خصائصه العظيمة كونه أول ناظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة وأرى أن هذه الخصوصية من الممكن عدم الاعتراض عليها لثبوت كونه أول من يدخل الجنة وأن المؤمنين في الجنة يرون ربهم عز وجل، ففي ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠ في الكلام على تفسير قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ الآية، ما نصه: أي تراه عياناً كما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه، «إنكم سترون ربكم عياناً». وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة، وهما في الصحيحين، أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما حجاب»؟ فقالوا: لا، قال: «إنكم ترون ربكم كذلك». وفي الصحيحين عن جابر، قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا». وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة: =

. . . . . .

= آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وفي أفراد مسلم عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة».

وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه: «إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك» يعني في عرصات القيامة، ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن أبجر، حدثنا يزيد بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة عند الله لينظر في وجه الله كل يوم مرتين» رواه الترمذي، عن عبد بن حميد عن شبابة، عن إسرائيل، عن نوير، قال: سمعت ابن عمر، فذكره؛ قال: ورواه عبد الملك بن أبجر عن نوير، عن مجاهد، عن ابن عمر؛ وكذلك رواه الثوري، عن نوير، عن مجاهد، عن ابن عمر؛ ولم يرفعه. قال: ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح، والحسان، والمسانيد، والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام. اهـ. منه بلفظه. وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ جلد ٨ ص ٣٣٠: وروى من حديث أنس =

[وَكَوْنُهُ أولَ مَنْ يَجُوزُ
عَلَى الصِّرَاطِ عَزَّ مَا يَحُوزُ][٣١]

= قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وزيادة ﴾، قال: «الذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم» وهو قول أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب في رواية، وحذيفة، وعبادة بن الصامت، وكعب بن عجرة، وأبي موسى، وصهيب، وابن عباس في رواية، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب. اهـ. بلفظه.

ثم ذكر القرطبي حديث صهيب عند مسلم في هذا الموضوع، وقد تقدم ذكره فيما نقله ابن كثير.

واختلف هل رأى رسول الله ﷺ ربه؟ فأنكرته عائشة رضي الله عنها وجماعة من الصحابة والتابعين والمتكلمين، وأثبت ذلك ابن عباس وقال: إن الله اختصه بالرؤية، وموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، وأخذ به جماعة من السلف والأشعري في جماعة من أصحابه، وكان الحسن يقسم لقد رآه، وتوقف في ذلك جماعة، وقال من أخذ به: إن ابن عباس أثبته وليس مما يدرك بالاجتهاد فله حكم الرفع، وعائشة لم تستند في نفيها إلى حديث بل استنبطته بالاجتهاد من الآية. كذا في الأبي مضمونه. والله الموفق.

(٣١) يجوز: مضارع جاز الموضع جوْزاً، وجُؤُوزاً، وجوازاً، ومجازاً، وجاز به، وجاوزه جوازاً: سار فيه وخلَّفه. والصراط: بالكسر الطريق، وجسر ممدود على متن جهنَّم يمر الناس عليه إلى الجنة على كيفيات، قال ابن كثير: وقال ابن جرير: حدثنا خلال بن أسلم، حدثنا النضر، حدثنا إسرائيل، أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ الآية من سورة مريم، قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة =

[وَكَوْنُهُ أَوَّل أَهْل الجَنَّةِ
دُخُولاً الجَنَّةَ دُونَ مِرْيَةِ][٣٢]

= كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلّم سلّم، قال: ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «ويضرب الصراط بين ظهريْ جهنّم فأكون أنا وأُمّتي أوَّلَ مَن يُجيزُ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ». وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد، قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدقُّ من الشعرة وأحد من السيف، وليس في حديث الليث. اهـ. محل الغرض منه.

وقد قال بعضهم في وصف الصراط:

وكالصراط ذي الكلاليب ومَنْ ... أُنْقِذَ مِنْهُ فَهْوَ بالْفَوزِ قَمِنْ
جَسْرٌ على مَتْنِ جَهَنَّم الّتي ... يهوي بها مَنْ رجلُه قد زَلَّت
وما يُقالُ إنّه أرقُّ ... منْ شَعَرٍ صَدِّقْهُ فَهْوَ حَقُّ
ففي صحيح مسلم ما أرشدا ... إليهِ والضريرُ فيه أنْشَدا
والرَّبُّ لا يُعْجِزُهُ إمْشاؤُهُمْ ... عَلَيْه إذْ لم يُعْيِهِ إنْشَاؤُهُم

ومرادها، عليها رحمة الله، أن نبينا محمداً ﷺ خص من بين إخوته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بكونه أول من يجوز على الصراط، وقد تقدم لك آنفاً دليل ذلك من حديث مسلم، والمعنى أنه لا يجوز أحد حتى يجوز هو وأمته ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

(٣٢) مرادها، والله تعالى أعلم، أنه ﷺ خص من بين إخوته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بكونه أول من يَدخُل الجنة، قال عياض في شفائه، وقد مزجته بكلام شهاب الدين الخفاجي: وفي حديث رواه حذيفة بن اليمان العبسي الصحابي رضي الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ، توفي سنة ست وثلاثين، وهذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عنه، قال: قال =

= رسول الله ﷺ: «بشرني» يعني ربه، ولم يذكر الفاعل في أصل رواية هذا الحديث للعلم به، كما في قوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾، «أول من يدخل الجنة معي من أمتي» حال من عائد من المستتر تحت يدخل «سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً»، وقوله مع كل ألف سبعون ألفاً، جعلهم معهم لأنهم أتباعهم أو ذراريهم. وفي البخاري أنه ﷺ لما قال ذلك دخل بيته، فخاض الصحابة في هؤلاء فخرج ﷺ وسألهم عما خاضوا فيه، فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يسرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة، هو ابن مِحْصَن رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم»، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة» متفق عليه. وقد حسب ما في هذا الحديث فبلغ أربعمائة ألف ألف وسبعمائة ألف.

قلت: ضرب سبعين ألف في سبعين ألف ينتج أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف بالتاء المثناة قبل السين والعين المهملة.

وفي صحيح مسمم: حدثنا أبو بكر بن محمد بن العلاء قال: حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن المختار بن فلفل، قال: قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة».

وفي شرح السنة للبغوي بسنده عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ: «أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة عن آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة، فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر».

قال شعيب في التعليق: أخرجه الدارمي، وفي سنده زمعة بن صالح الجندي وهو ضعيف وباقي رجاله ثقات. =

[وكـون دار الـهـجـرة الَّـتـي سَـكَـن
آخـر ذي الـدُّنـا خَـرابـاً فـاعْلَمَنْ](٣٣)

---

(٣٣) دار هجرته هي المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تقول في هذا البيت أن من الخصائص التي خص بها رسول الله ﷺ كون مدينة هجرته التي هاجر إليها هي آخر الدنيا خراباً، ولم أقف على شاهد على ذلك ولعله من قصوري، وللمدينة خصائص عظيمة وردت بها الأحاديث الكثيرة، منها كون الإسلام يئرز إليها كما جاء في الصحيحين: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليئرز إلى المدينة كما تئرز الحية إلى جحرها» متفق عليه.

ومنها أن بها بقعة من بقاع الجنة، وبذلك ورد حديث الصحيحين: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد المازني الأنصاري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، وأخرجا من حديث أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي».

قلت: وهذا الحديث من أدلة مالك على أن المدينة أفضل من مكة زادهما الله شرفاً، قال: لأن هذا الحديث أثبت أن الأرض التي بين البيت والمنبر من الجنة، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «لقاب قوسين أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها».

قال الأبي في الإكمال: قال ابن عرفة: لا يمتنع أن تكون البقعة بعينها من الجنة حقيقة، وهذا أمر جائز أخبر الشارع بوقوعه فلا يمنع، فقيل له: المانع أنه ليس من صفات الجنة المذكورة في الأحاديث، فقال: يمكن أن تكون كذلك ولا ندركها، فقيل له: لو قال أحد إن بين أيدينا بحراً وجبالاً لا ندركها، لكان القول بذلك هوساً، فقال: ولكن لو أخبر الشارع أن بين أيدينا تلك الأشياء لوجب الإيمان بذلك، وقد =

[وأنَّـهُ سُـمَـاهُ مَـكْـتُـوبٌ عَـلى
عَـرْشِ الإلـه وعلى السبـع العـلا][٣٤]
[ومَـا بـهـا ثُـمَّ عَـلى الـجِـنَـانِ
ومَـا بهَـا سُبْحَـانَ ذي الإحْسَـان][٣٥]

= قال ﷺ: «أريت الجنة والنار في عرض هذا الحائط» وقد قيل إن ذلك حقيقة.

ومن أدلة مالك أيضاً على تفضيل المدينة قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لَنُبَوِّئَنَّهُم في الدُّنيا حَسَنَةً ﴾، قال: بوَّأهم المدينة جزاء لهم على الصبر على الأذى وترك الوطن والأهل في سبيل الله، قال ابن عطية: قرأ الجمهور: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهم ﴾ وقرأ ابن مسعود، ونُعيم بن ميسرة والربيع بن خيثم، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿ لَنُثْوِيَنَّهُم ﴾، وهاتان اللفظتان معناهما التقرير في موضع، فقالت طائفة: «الحَسَنَةُ» عدة ببقعة شريفة كشف الغيب أنها كانت المدينة، وإليها كانت الإشارة بقوله: ﴿ حسنة ﴾ اهـ. محل الغرض منه.

هذا، وقد ذكرت بعضاً مما جاء في فضل المدينة المنورة وحب النبي ﷺ إياها ودعائه لها في كتابنا مواهب الجليل من أدلة خليل في الكلام على قول المختصر في آخر النذر: والمدينة أفضل ثم مكة، فأغنى ذلك عن استطراده هنا والله تعالى المحمود وله الشكر لا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

(٣٤) و(٣٥) قال عياض في الشفا: حكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما، أن آدم عند معصيته قال: اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي، ويروى تقبل منِّي توبتي، فقال له الله: من أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويروى محمد عبدي ورسولي، فعلمت أنه أكرم خلقك =

. . . . . .

عليك فتاب عليه وغفر له، قال: وهذا عند قائله هو تأويل قوله تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمـٰت فتاب عليه ﴾، قال الخفاجي: وهذا فيه خفاء لأن معنى تلقيها من الله، أخذها من غير واسطة، والمذكور أنه رآها مكتوبة في الجنة، فكأنه جعل إلهام الدعاء له بها بمنزلة تلقيها عنه، وقيل: إنه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمـٰت، ومعنى تلقيها استقبالها بأخذها والعمل بها حين علمها.

وأشار بقوله عند قائله إلى أن فيه أقوالاً أخر، فقيل إن الكلمات المتلقات هي: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخـٰسرين ﴾، وقيل: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك إني ظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم. فسقط ما قيل إنه ليس فيه على الرواية أنه تلق من الله، والكتابة لا تسمى كلمات إلا مجازاً، ولا قرينة تدل عليه، قيل: وفيه دلالة على أن آدم كان يعلم الكتابة. اهـ. منه.

قلت: قد ذكرت في التعليق الصواب على تحفة الألباب على الأنساب، ذكرت أني سألت الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ثم اليعقوبي صاحب أضواء البيان، عن هذا الحديث، فقال: إن مدار جميع رواياته على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو علته، وذكرت هناك رأي الحفاظ في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإنه لا يعول على حديث روي عن طريقه، على أن ما ذكرناه هنا نقلاً عن الشفا، وعهدته عليه، على أننا ننبه فقط على أن حديثاً مداره على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يعول عليه.

وقال في الشفا، وكلامه هنا ممزوج بكلام الخفاجي، قال: وروى ابن قانع القاضي، بقاف ونون بينهما ألف وعين مهملة، وهو عبد الباقي ابن قانع بن مرزوق الأموي البغدادي صاحب معجم الصحابة وكتاب =

. . . . . .

= القوم، وترجمته مشهورة في الميزان، وهو ثقة إلا أنه قيل إنه تغير في آخر عمره، وتوفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وكان على المصنف - يعني عياضاً - أن يذكر تقدم السند عن ابن قانع إلى قوله عن أبي الحمراء، بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدودة، قال البرهان: ولا يعرف المراد به فإن أبا الحمراء الصحابي مولى رسول الله ﷺ اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، أخرج له ابن ماجه حديثاً غير هذا وكان بحمص، قال: يقال له صحبة ولا يصح حديثه؛ ومن الصحابة أبو الحمراء مولى آل عفراء البدري ولا تعرف له رواية - ولا يعرف في التابعين من اسمه أبو الحمراء، ولا فيمن بعدهم - قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسرى بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلمي».

وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾، قال: لوح من ذهب فيه مكتوب عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن، أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: على باب الجنة مكتوب لا إله إلا أنا محمد رسول الله من قالها لا أعذبه، وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد أمين. وذكر السمنطاري نسبة لسمنطار، قرية من جزائر المغرب وقيل هو الذهبي بلسان أهل المغرب، وهو أبو بكر بن عتيق بن علي، أحد عبَّاد الجزائر وزهادها، وله كتاب الدقائق في اثني عشر مجلداً كبيراً لم يسبق بمثله، ومنه نقل المصنف - يعني عياض - هذا الحديث، أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً على جنبه لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله. وذكر المؤرخون =

[وَكَوْنُهُ أَعْطَاهُ لِلتَّعْظِيمِ
مِنْ كَنْزِ تَحْتَ عَرْشِهِ الْعَظِيمِ][٣٧]
[أُمَّ الْكِتَابِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ
خَوَاتِمَ الْبِكْرِ هُدَى الْغَبِيِّ][٣٨]
[وسُورَةَ الْكَوْثَرِ فَالإِلَهُ
لَمْ يُعْطِ مِنْهُ أَحَداً سِوَاهُ][٣٩]

= أنه وجد ببلاد الهند حجر أحمر مكتوب فيه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله. اهـ. منه.

قلت: لا مانع من هذا كله لو صح إسناده إلا أنه لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

(٣٧، ٣٨، ٣٩) تريد بهذه الأبيات، والله تعالى أعلم، إن الله تعالى عظم عبده محمداً ﷺ بكونه أعطاه أي أوحى إليه من كنز تحت عرشه لم يوح منه على أحد: فاتحة الكتاب، فلم تنزل على غيره من الأنبياء وقد خصه الله بها وجعل نصفها ثناء على الله تعالى ونصفها دعاء، فجعله يثني على ربه ثم يدعو فيجاب دعاؤه، ولهذا ورد في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الخ.. الحديث. وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث معقل بن يسار، قال النبي ﷺ: «أعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش والمفصل النافلة» وقال صحيح ولم تخرجاه. اهـ. آية الكرسي، فقد روى أبو عبيدة عن علي بن أبي طالب وذكره ابن العربي: «آية الكرسي أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش»[1].

وخواتيم سورة البقرة هي مما خصه ﷺ أن أوحاها إليه من كنز تحت عرشه لما رواه الإمام أحمد وغيره: «أعطيت هذه الآيات من آخر سورة =

(١) الخصائص النبوية شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للشيخ محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، مطبعة النهضة الحديثة بمكة.

. . . . . .

= البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي وهي ﴿ آمن الرسول ﴾ إلى آخر السورة. وروى أحمد، والطبراني، والبيهقي عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي»[1].

وقد روى الضياء في المختارة، والطبراني: «أربع نزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرها: أم الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والكوثر»[1].

وفي نسيم الرياض على الشفا لعياض ما نصه: وفي رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس البكري المصري نزيل خراسان التابعي الثقة يروى عن أنس رضي الله عنه، والرواية عنه مشهورة، توفي ستة تسع وثلاثين ومائة «فقيل لي هذه سدرة المنتهى» إلى أن قال: «فقال الله تبارك وتعالى له سل: «فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرىء الأكمه والأبرص، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل» فقال له ربه: «قد اتخذتك حبيباً فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الله، وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبياً قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً». اهـ. منه.

. . . . . .

(١) المصدر السابق.

[وَكَوْنُ رَبِّنَا عَلى كُلِّ نبي
أَخَذَ ميثَاقاً وَثِيقاً لِلنَّبي][40]
[إِنْ جَاءَهُمْ بِالنَّصْرِ والإِيمانِ
وَكُلُّ ذَا تَشْرِيفَ ذَا الْعَدْنَاني][41]
[وأَخْذِهِمْ بِمِثْلِهِ عَلى الأُمَمْ
صَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ذو الكَرَمْ][42]

(٤٠، ٤١، ٤٢) هذه الأبيات تفيد ما أفاده قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيئين لَمَا آتَيْتُكُمْ من كِتَٰبٍ وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدِّق لما معكم لتؤمِنُنَّ بِهِ ولتنصُرُنَّه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى، قالوا أقررنا، قال فاشْهَدُوا وأنا معكم من الشهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفسقون ﴾.

قال ابن كثير في سيرته: قال علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد ﷺ وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

قال: وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى ألسنة الأنبياء، وإعلام لهم ومنهم برسالته في آخر الزمان، وأنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين.

وقال ابن عطية في تفسيره، عند هذا الموضع: وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما بعث الله نبياً ـ آدم فمن بعده ـ إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ، لئن بعث وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنَّه، وأمره بأخذه على قومه، ثم تلا هذه الآية، قال: وقاله السدي. اهـ.

وقال السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل في خصائصه، ص ٢٣ ما نصه: قال السدي: في الآية لم يبعث الله نبياً قط من لدن =

[وَكَوْنُهُ عَلى الْبُراق يُحْشَرُ
خُصَّ بِذَاكَ الْحَاشِرُ الْمُدَّثِّرُ](٤٣)
[وغَيْرُهُ مِن أنبياء الْحَكَم
على سِوَاهُ حَشْرُهُمْ فَلْتَعْلَمِ](٤٤)

= نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه إن خرج وهم أحياء، رواه ابن أبي حاتم. وروى البخاري عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنَّه، وأخرجه ابن جرير بلفظ لن يبعث الله نبياً آدم فمن دونه الخ. قال العلماء: وأمم الأنبياء تبع لهم في ذلك، وفي ذلك تنويه بعظيم قدره ﷺ، وإن نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة. اهـ. منه.

وفي أشرف الوسائل على الشمائل: وأخذ السبكي من الآية أنه ﷺ، على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم فتكون رسالته عامة بجميع الخلق من لدن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ويكون قوله ﷺ: «بعثت إلى الناس كافة»، يتناول من قبل زمانه، وبذلك يتبين معنى «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» وحكمة كون الأنبياء تحت لوائه في الآخرة، وصلاته بهم ليلة الإسراء. اهـ. منه.

(٤٣، ٤٤) مرادها بهما، والله تعالى أعلم، أنه ﷺ مخصوص بين إخوته الأنبياء بكونه يحشر يوم القيامة راكباً على البراق بينما يكون إخوانه الأنبياء راكبين على غيره من الدواب، والله تعالى أعلم بمستندها لذلك، فالذي وقفت عليه ما تقدم عن ابن كثير أنه قال: لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشاركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، فهو أول من تنشق عنه الأرض، ويبعث راكباً إلى المحشر، الخ.. وربك أعلم هل الركوب يوم المحشر من التشريفات التي لا يشاركه فيها =

[وخُصَّ بالشَّقِّ أو التَّكرار
بَيْنَهُمُ وفي ذَاكَ خُلْفٌ جار][٤٥]

= أم هو من التشريفات التي لا يساويه فيها أحد، وعلى الأخير يتجه ما جاءت به الناظمة من التفصيل والله أعلم.

(٤٥) والمراد بهذا البيت، والله تعالى أعلم ـ أن من خصائص نبينا ﷺ شق صدره، قالت: إما أنه خص به من بين إخوانه الأنبياء، وإما أنه يكون خص بتكرار شق صدره إذا ما ثبت أنه حصل شقّ الصدر لإخوته صلى الله عليه وعليهم أجمعين، فهي عليها رحمة الله تعالى تقول: إن العلماء اختلفوا في حصول شق الصدر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فعلى القول بعدم حصول ذلك لهم كان شق الصدر من خصائصه دونهم لثبوته له ﷺ بالأحاديث الصحيحة، وعلى القول بوعه لهم عليهم الصلاة والسلام، فقد تكرر شق صدره دونهم فيكون اختص من بينهم بتكرار شق صدره. والتحقيق إن شاء الله، أنه ثبت غسل قلوب الأنبياء، فقد ذكر الأبي في شرح صحيح مسلم: فسر الطبري السكينة التي كانت في التابوت بأنها الطست التي كانت تغسل فيها قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا يقتضي أنه ليس بخاص به ﷺ. وأما بالنسبة لنبينا ﷺ فقد تكرر له شق الصدر بدليل الأحاديث الصحيحة بأن صدره شق مرتين على الأقل:

الأولى: في ضواحي مكة المكرمة وهو صبي في بني سعد الذي كان مسترضعاً فيهم، ففي صحيح مسلم: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال هذا خط الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعني ظئره، فقالوا: إن =

. . . . . .

= محمداً ﷺ قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

والثانية: شق صدره ليلة أسرى به بدليل ما أخرجه مسلم في صحيحه: وحدثني حرملة بن يحيى التجيبي أنا ابن وهب أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى سماء الدنيا الخ. . حديث الإسراء الطويل.

ونقل الأبي عن السهيلي أن شق الصدر كان مرتين: مرة في الصغر للتطهير من غمر الشيطان حتى لا يلتبس بشيء من المعايب وحتى لا يكون في قلبه إلا التوحيد، ومرة في الاكتهال وبعد النبوة عندما أراد الله رفعه إلى حضرة القدس لتلقي فرض الصلاة ويصلي بملائكة السماء، ومن شأن الصلاة الطهور فطهر ظاهراً وباطناً.

ونقل الأبي عن ابن أبي الدنيا حديثاً في شق الصدر من طريق أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله بم علمت أنك نبي؟ قال: «أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما للآخر: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: زنه برجل فوزنني به فرجحته، قال: زنه بعشرة فرجحتهم، قال: زنه بمائة فرجحتهم، قال: زنه بألف فرجحتهم حتى جعلوا يتساقطون عليّ من كفة الميزان، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء (أو الملاءة)، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطْ بَطْنَه فخاطه وجعل الخاتم بين كتفي على ما هو عليه الآن ووليا عني فكأني أعاين الأشياء معاينة». قال السهيلي: ففي هذا الحديث من نفيس العلم =

[وخَتْمُهُ عِنْدَ النُّغيضِ آتى
حَيْثُ لِغيْرِهِ اللَّعينُ يأتي][٤٦]
[وختم الأنبياء بالأيمان
أماتنا الحق على الإيمان][٤٧]
[على نزاع بينهم في ذلك
أجارنا الرَّبُّ من المهالك][٤٨]

= معرفة وقت وضع الخاتم ومن وضع الخاتم وكيف وضع لأنه كان لا يدري هل ولد به أم لا، وفيه بيان كيف علم أنه نبي، على أن في الحديث ضعفاً انتهى من الأبي في إكمال الإكمال.

(٤٦ ـ ٤٨) والمراد بهذه الأبيات الثلاثة أن رسول الله ﷺ من خصائصه أن خاتم نبوته كان عند النغض بدون ياء بين الغين المعجمة والضاد المعجمة أيضاً ومد غينه هنا لضرورة الوزن، وهو الغضروف بأعلى الكتف الأيسر، قال في القاموس: نُغض بالضم ويفتح، غضروف الكتف أو حيث يجيء ويذهب منه كالناغض فيهما. اهـ.

ثم ذكرت أن علة كون الخاتم النبوي بذلك المحل منه ﷺ هي أن ذلك الموضع من ابن آدم محل إتيان الشيطان له، وقولها هذا يتأيد بما نقله الأبي، قال: يروى أن عمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل الله أن يريه موضع الشيطان منه، فأرى جسداً يرى داخله من خارجه، والشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله في قلبه يوسوس، فإذا ذكر الله خنس، اهـ. منه بلفظه. ثم ذكرت أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت أختامهم بأيمانهم، عند الكتف الأيمن أو اليد اليمنى على خلاف بين العلماء في ذلك والله تعالى أعلم في مستندها في ذلك فإني لم أقف على شيء منه لقصوري. =

. . . . . .

= وقد وردت روايات في وصف خاتمه ﷺ، منها ما أخرجه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة، قال ابن كثير: وهكذا رواه مسلم عن قتيبة ومحمد ابن عباد كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به.

وروى مسلم بسنده عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته، ثم ساق الحديث عنه إلى أن قال: ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. وقال الإمام أحمد: ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن عاصم بن سليمان، عن عبد الله بن سرجس، قال: ترون هذا الشيخ، يعني نفسه، كلمت نبي الله ﷺ وأكلت معه ورأيت العلامة التي بين كتفيه وهي في طرف نغض كتفه اليسرى كأنه جمع. قال ابن كثير يعني الكف المجتمع وقال بيده فقبضها، عليه خيلان كهيئة الثآليل.

قال ابن كثير في سيرته، بعد أن ذكر أقوالاً وروايات كثيرة في وصف خاتمه ﷺ قال: ومن أحسن ما ذكره ابن دحية رحمهُ الله وغيره من العلماء قبله، في الحكمة في كون الخاتم كان بين كتفي رسول الله ﷺ، إشارة إلى أنه لا نبي بعدك يأتي من ورائك، قال: وقيل كان على نغض كتفه لأنه يقال هو الموضع الذي يدخل منه الشيطان إلى الإنسان، فكان هذا عصمة له ﷺ من الشيطان، اهـ. منه.

قلت: جميع الروايات الواردة في وصف الخاتم تدل على أنه كان شيئاً بارزاً عند كتفه الأيسر، إذا قلل قيل كبيضة الحمام وإذا كبر قيل كجمع الكف، ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بأنه كهيئة الجمع لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمام، والله الموفق.

[وأنّـه لا ظِـلَّ لـلمـخـتـار
لِـكَـوْنِـهِ مـن أضْـوَإِ الأنْـوَار][٤٩]
ومـنـع ثَـوبِـهِ مِـن الـذبـاب
جَسَـدُهُ أحْـرى عَلى الـصـواب][٥٠]
[وكـون مـا ركـبـه الـرسـولُ
لـم يـك مـا ركـبـه يَـبُـولُ][٥١]

---

(٤٩) وقولها: وإنه لا ظل للمختار الخ. . . لم أقف على أثر ينص عليه، لكنه لا مانع منه لقوله تعالى: ﴿ يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً أو نذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾، ولإنشاد كعب بن زهير بين يديه قوله: إن الرسول لنور يستضاء به، البيت. وأقره على ذلك، فإن قيل النور يستعار به للهدى، فالجواب أن الحقيقة تقدم على المجاز والله تعالى أعلم وأحكم وهو ولي التوفيق.

(٥٠) وقولها: ومنع ثوبه البيت، تريد به أنه ﷺ من خصائصه أن الذباب ممنوع من النزول على ثيابه وعلى جسده من باب أحرى، وأظن أنه لا اعتراض على هذه لأن الذباب أذية وقذر فلا مانع أن يصان عنه ﷺ، وإن كنت لم أعثر على أثر يشهد لهذه.

(٥١) وقولها: وكون ما ركبه الرسول لم يك ما ركبه يبول، ولم يرث، هذه الخصوصية. لم أر ما يشهد لها من الآثار، غير أنه ورد في السيرة ما يخالفها، ففي السيرة أن رسول الله ﷺ ذهب يوماً يعود سعد بن عُبادَة فمر على جمع من الأنصار فيهم عبد الله بن أبي بن سلول وعبد الله بن رواحة، وكان ﷺ راكباً عمى حمار، ففي بعض روايات هذا الحديث أن رسول الله ﷺ وقف على هؤلاء يحدثهم فبال الحمار، فقال ابن أبي: فقد آذيتنا ببول حمارك، فقال عبد الله بن رواحة: بل اغشنا واغشنا، فوالله لريح بول حماره أطيب من ريحك، فتثاور الحيان إلى آخر القصة، وهي معلومة بمحلها. =

[ولـم يَـرُثْ وإن يـمـاشـي طـوال
طَـالَهُم وكـأن يُجَـالِسَ الـطوال][٥٢]
[وهُـوَ رَبْـعَـةٌ إذا مـا يَـنْـفِـرُ
صلَّى عليه الحق ما الحقُّ حُمْـد][٥٣]

= وورد في السيرة أيضاً أنه، بأبي وأمي هو، طاف بالبيت راكباً يوم الفتح، على ناقته القصواء، وزمامها بيد محمد بن مسلمة الأشهلي، وفي بعض روايات هذا الخبر أنها بالت في المطاف وبعرت، ولعل بعض الفقهاء استدل بذلك على طهارة بول وروث الأنعام، والله تعالى أعلم وأحكم وهو ولي التوفيق.

(٥٢ و٥٣) وقولها: وأن يماشي طوال، البيتين، مرادها بذلك أنه ﷺ جاء في الخبر أنه ربعة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الشائن، وأنه، بأبي وأمي هو، إذ يسايرُ طوالاً طالهم مهما بلغوا في الطول فإنه يرى فوقهم وكذلك إن جالسوه. وحيث إن هذه الخصوصية تعرضت لبعض شمائله ﷺ، ناسب المقام هنا أن نستطرد بعض الأحاديث في وصفه ﷺ تبركاً بذلك.

ففي وصف أم معبد له واسمها عاتكة بنت خالد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، لم تعبه نُحْلَةٌ، ولم تُزبه صُقْلَةٌ، وسيمٌ قسيمٌ، في عينيه دَعَجٌ، وفي أشفاره وَطَفٌ، وفي صوته صَهَلٌ، وفي عنقه صَطَعٌ، وفي لحيته كَثَافَةٌ، أزجُّ، أقْرَنُ، إنْ صمت فعليه الوقَارُ، وإنْ تكلم سما وعلاهُ البَهَاءُ، أجملُ الناس وأبهاهُ من بعيد، وأجلاهُ وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزرٌ ولا هَذْرٌ، كأن منطقه خرراتُ نظم يتحدَّرْنَ، رَبْعَةٌ لا بأس من طول، ولا تقتحمه عينٌ من قِصَرٍ، غُصْنٌ بين غُصْنين، فهو أنضرُ الثلاثة منظراً، وأحْسَنُهم قدراً، له رُفَقاءُ يَحُفُّون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإنْ أمر تبادروا لأمره، مَحْشُودٌ مَحْفُودٌ، لا عابسٌ ولا مُفَنَّدٌ؛ ـ هذه رواية البغوي التي ساقها بسنده إلى حبيش بن خالد أخي أم معبد بنت خالد. =

. . . . . .

= قال ابن كثير في سيرته: ثم إن الحافظ البيهقي اتبع هذا الحديث بذكر غريبه ونحن نذكر ههنا نكتاً من ذلك: فقولها: ظاهر الوضاءة أي ظاهر الجمال، وأبلج الوجه أي مشرق الوجه مضيئه، وقولها: لم تعبه نحلة بالجاء، رده أبو عبيدة، وقال هي: نجلة بالجيم، قال وهو كبر البطن، وقال غيره هو كبر الرأس، قال ابن كثير: وهذا أقوى لقولها بعده: ولم تزر به صعلة، وهو صغر الرأس بلا خلاف، ومنه قيل لولد النعامة: صَعْلٌ لصغر رأسه، وأما البيهقي فقد رواه: لم تعبه نحلة بالحاء يعني من الضعف، يريد أنه ضرب من الرجال ليس بمشفح ولا ناحل.

وأما الوسيم فهو حسن الخلق وكذلك القسيم أيضاً، والدعج شدة سواد الحدقة، والوطف طول أشفار العينين، وفي رواية: وفي أشفاره عطف بعين بدل الواو، والظاهر أنها غلط، والصحل بحة يسيرة وهي أحلى في الصوت من أن يكون حاداً، قال أبو عبيد: ومن روى وفي صوته صهل فهو غلط لأن ذلك للخيل ولا يكون للإنسان، وأزجّ الحاجبين المتقوسهما والأقرن هو الملتقي الحاجبين بين العينين، ولا يعرف ذلك في صفة رسول الله ﷺ إلا في هذا الحديث. بل المعروف في وصفه عليه الصلاة والسلام أنه أبلج الحاجبين، وقولها في عنقه سَطَعٌ أي طول وقيل نور، قال ابن كثير: والجمع ممكن بل متعين، وقولها: إذا صمت فعليه الوقار، تريد أنه عليه الهيبة في حال صمته وسكوته وأنه إذا تكلم سما أي علا على الناس وعلاه البهاء أي أنه في كلامه حلو المنطق، فصيح الكلام، بليغ يفصل الكلام ويبينه، لا نزور ولا هذر أي لا قليل الكلام ولا كثيره، وقولها كأن منطقه خرزات نظم، يعني الذي في حسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه، وقولها: أبهى الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، تريد أنه مليح من بعيد ومن قريب.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: سألت خالي هند بن =

. . . . . .

= أبي هالة، وكان وصافاً، عن حلية النبي، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً، فقال:

كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يتلألأ تَلألُؤَ القمر ليلة البدر أطول من المربوع، وأقصر من المشذَّب، عَظيمَ الهامة، رَجْلَ الشَّعر، إن انْفَرَقَتْ عقيقته فَرَق، وإلاّ فلا يُجَاوزُ شَعَرُه شحمةَ أُذُنَيْهِ، إذ هو وفْرَةٌ، أزْهر اللَّوْن، وَاسِعُ الجَبين، أزجُ الحواجب، سَوابغُ من غير قَرَنٍ، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ، أقْنَى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمَّلْهُ أشَمَّ، كثُّ اللحية، سَهْلُ الخدَّيْن، ضليعُ الْفَم، مُفلَّجُ الأسْنَانِ، دقيقُ المسْرُبَة، كأن عُنقَهُ جيدُ دُمْيةٍ في صفاء الفضَّةِ، مُعتدِلُ الخَلْق، بادنٌ متماسكٌ، سواءُ البَطْنُ والصَّدْرُ، عريضُ الصدر، بعيدُ ما بين المَنْكبين، ضَخْمُ الكراديس، أنورُ المتجرَّد، موصَّلُ ما بين اللَّبة والسُّرَّة بشعر يجري كالخَطِّ، عاري الثَّدْيَيْن والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويلُ الزندين، رحبُ الراحةِ، شَثْنُ الكفين والقدمين، سائلُ الأطراف، أو قال: شائلُ الأطراف، خُمصانُ الأخمَصَيْن، مسيحُ القَدَمَيْن، ينبو عنهما الماء، إذا زَالَ زَالَ قلعاً، يخطُو تكفِّياً ويمْشِي هَوْناً ذَرِيعُ المِشْيَةِ إذا مَشَى كأنما ينحَطُّ من صَبَبٍ، وإذا الْتَفَت الْتَفَت جَميعاً، خَافِضُ الطرف، نَظرُهُ إلى الأرض أطوَلُ من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظَةُ، يَسُوقُ أصحابه، يَبْدُرُ من لَقِيَ بالسلام.

قال الحسن: قلت لخالي: صف لي منطقه ﷺ، قال: مُتواصل الأحزان، دائمُ الْفِكر، ليْسَتْ له راحة، طويلُ السَّكْت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلِم، فَصْلٌ لا فُضُولٌ ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يُعَظِّمُ النعمة، وإنْ دقَّتْ،

. . . . . .

= لا يذُمُّ منها شيئاً غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تُغْضِبه الدنيا وما كان لها فإذا تَعَدَّى الحق، لم يَقُم بغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تَحَدَّث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطْن إبهامه اليُسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، جلُّ ضَحكِه التبسُّمُ.

قال الحسين: فسألت أبي عن دخول النبي ﷺ فقال:

كان إذا آوى إلى منزله جزَّأ دخوله إلى ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بأدبه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلُهم فيما أصلحهم، والأمة من مسألتهم عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يُذْكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روّاداً، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة يعني على الخير.

قال: فسألته عن مخرجه كيف يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يَخْزُنُ لسانَهُ إلاَّ فيما يعنيه، ويؤلِّفُهُمْ، ولا يفرِّقُهم، ويُكْرِمُ كلَّ كريمِ قَوْم ويُوَلِّيهِ عليهم، ويُحذِّرُ الناسَ، ويَحْتَرِسُ منهم من غير أنْ يَطْوي عن أحَدٍ منهم بِشْرَهُ ولا خُلُقَهُ، ويَتَفَقَّدُ أصحابه، ويسأل الناس عمَّا في الناس، ويُحَسِّنُ الحسنَ ويُقَوِّمه، ويُقَبِّحُ القبيحَ ويُوَهِّنُهُ، مُعْتَدِلُ الأمر غيرُ مُخْتَلِفٍ، يَغْفُلُ مخافَةَ أن يَغفُلُوا أو يَمِيلُوا، لكُلِّ حالٍ عنْدَه عَتاد، لا يَقْصُرُ عن الحق ولا يُجَاوِزُهُ، الذين يَلونَه من الناس خيارُهم، أفْضَلُهم =

. . . . . .

= عنده أعمُّهم نصيحةً، وأعظمهم عنده منزلة أحسنُهم مواساةً وموازرةً، قال: فسألته عن مجلسه، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يقومُ لا يجْلسُ إلا عن ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جَلَسَ حيثُ ينتهي به المجلسُ ويأمر بذلك، يُعطي كل جُلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرمُ عليه ممَّن جالسه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسِعَ الناسَ بَسْطُهُ وخُلُقَهُ، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحقِّ سواءً، مجْلِسُه مجلسُ حِلْمٍ وحياءٍ وصبرٍ وأمانَةٍ، لا تُرفَعُ فيه الأصوات، ولا تُؤبَنُ فيه الحُرَمُ، يَتعَاطوْنَ فيه بالتَّقْوى متواضعين، يوقّرونَ فيه الكبيرَ، ويرحمونَ فيه الصغيرَ، ويُؤْثِرُونَ ذَا الحاجَةِ ويَحْفَظُونَ الغريبَ.

قال الحسين: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جُلَسائه، فقال: كان النبي ﷺ دَائمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ الخُلُق، لَيِّنَ الجانب، ليس بفظٍّ ولا غَليظٍ ولا صخَّابٍ، ولا فحَّاشٍ، ولا عيَّابٍ، ولا مدَّاحٍ، يتغافلُ عمَّا لا يَشْتَهي، ولا يؤيِسُ مِنْهُ، ولا يُجيبُ فيه، قد ترك نفسَه من ثلاثٍ: الرِّيَاءَ، والإكثَارَ، وما لا يعنيه، وترك الناسَ من ثلاثٍ: لا يذُمُّ أحداً ولا يعيبُه، ولا يَطْلُبُ عورتَهُ، ولا يتكلم إلا فيما رَجَا ثَوابَهُ، وإذا تكلم أطرقَ جُلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعونَ عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرُغَ، حديثُهم عنده حديث أوَّليَّتهم، يضْحَكُ ممَّا يَضْحَكُون منه، ويتعجبُ مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مَنْطِقِهِ ومسألته حتى إن كان أصحابه ليَسْتَجْلِبُونَهمْ، ويقُولُ: إذا رأيتُم طالب حاجةٍ يَطْلُبُها فأرْفِدُوهُ، ولا يَقْبَلُ الثناء إلاَّ من مُكافىء، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزَ، فيقطعه بنَهْيٍ أو قيامٍ. اهـ. برواية البغوي، وقال في بيان بعض ألفاظ الحديث: قوله: كان فخماً مفخماً، أي: كان عظيم القدر مُعَظَّماً في =

. . . . . .

= الصدور والعيون، ولم يرد به ضخامة الجسم، قال أبو عبيد الفخامة نُبْلَةٌ وامتلاؤه مع الجمال والمهابة.

والمربوع: الربعةُ، وهو الرجل بين الرجلين.

والمشذَّبُ: الطويل البائن الطول، وأصل التشذيب: التفريق، يقال شذبت المال، إذا فرقته، فالمفروط في الطول كأنه فرق خلقه ولم يجتمع.

وقوله: إن انفرقت عقيقته فرق: معناه أنه إن انفرق شعر رأسه من ذات نفسه، فرقه في مفرقه، وإن لم ينفرق تركه وفرة واحدة على حالها.

والعقيقة: اسم للشعر الذي يولد المولود وهو على رأسه، سمي عقيقة لأنه يحلق، وأصل العق القطع والشق، ومنه قيل للذبيحة عند الولادة عقيقة لأنه يشق حلقومها، ثم قيل للشعر الذي ينبت بعد ذلك عقيقة على سبيل الاستعارة، وذلك هو المراد ها هنا.

وفي رواية: إن انفرقت عقيصته فرق، والعقيصة الشعر المعقوص وهو نحو من المضفور، والوفرة: الشعر إلى شحمة الأذن، والجمة: إلى المنكب، واللمة: التي ألمَّت بالمنكبين. ـ وقوله: أزهر اللون: أي نير اللون، والزهرة البياض النير وهو أحسن الألوان. ـ وقوله: بينهما عرق يدره الغضب: يعني بين حاجبيه عرق يمتلىء دماً إذا غضب، يقال درَّ الضرع إذا امتلأ لبنا. ـ وقوله: كثُّ اللحية: الكثوثة في اللحية أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، ولكن في شعرها كثافة.

وقوله: ضليع الفم: أي عظيم الفم، والعرب تحب ذلك وتذم صغر الفم، ومن ذلك قوله في وصف كلامه ﷺ: يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، وقيل في ضليع الفم شدة أسنانه وتراصفها. ـ وقوله: مفلج الأسنان: الفلج فرجة بين الثنايا والرباعيات، والمسربة: الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السُّرَّة. =

. . . . . .

= وقوله: عاري الثديين، ويروى: عاري الثندوتين، يريد أنه لم يكن على ذلك الموضع منه شعر، وقيل أراد أنه لم يكن عليهما كثير لحم، والثندوة للرجل كالثدي للمرأة، من ضم الثاء منها همزها ومن فتح الثاء لم يهمز الواو. ـ والدمية: الصورة المصورة، جمعها دُميٌ. وقوله: بَادِنٌ مُتَماسِكٌ: أي معتدل الخلق، يمسك بعض أعضائه بعضاً، وليس المراد منه بدانة السِّمنِ، ولا ضخامة البدن بدليل قوله: سواء البطن والصدر. وقوله: ضخم الكراديس: أي الأعضاء. ـ وقوله: أنور المتجرد: أي مشرق الجسدِ، والمتجرد من جسده: الذي تجرد عنه الثياب، والأنور: النيِّر. ـ وقوله: رحب الراحة: أي واسع الكف. ـ وقوله: شثن الكفين: أي غليظهما. ـ وقوله: سائل الأطراف: أي ممتد الأصابع، وهي بالسين غير المعجمة، ورواه بعضهم: سائن بالنون، ومعناهما واحد. ـ وقوله: خمصان الأخمصين: الأخمص من القدم هو الذي لا يلصق بالأرض في الوطء من باطنها، يريد أن ذلك الموضع من رجله كان شديد التجافي عن الأرض، وأنه لم يكن أَرْوَحَ، وهو الذي يستوي باطن رجله. ـ وقوله: مسيح القدمين: يريد به استواء قدميه من غير وسخ، ولا شقاق، ولا تكسر فيهما، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما، وقيل: أراد ملاسة قدميه ولينهما.

وقوله: إذا زال قَلِعاً: بفتح القاف وكسر اللام، يريد يرفع رجليه رفعاً ثابتاً يخطو تكفيًا، ويروى تكفؤاً، فالانحدار من الصبب، والتكفؤ إلى قدَّامِ، والتقلُّع من الأرض قريب بعضه من بعض، والمراد منه القوة في المشي برفع الرجلين، وامتداد الخطى، لا كمن يمشي مختالاً، وهي المشية المحمودة للرجال.

وقوله: ذيع المشية: أي سريع المشي، واسع الخطو، ولم يكن بحيث يتبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة، ألا تراه يقول: =

. . . . . .

= ويمشي هوناً، والهون معناه الترفق والتثبت، ومنه قوله تعالى: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ ٦٣ الفرقان، قال مجاهد: معناه بالسكينة والوقار، ويدل لذلك حديث أبي هريرة: إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

وقوله: وإذا التفت التفت جمعاً، ويروى جميعاً: يريد لا يلوي عنقه يمنة ويسرة ناظراً إلى شيء، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف، ولكن يقبل جميعاً ويدبر جميعاً. ـ وقوله: جل نظره الملاحظة، قال البغوي: هو أن ينظر الرجل بلحاظ عينيه إلى الشيء شزراً وهو شق العين الذي يلي الصِّدغ، فأما الذي يلي الأنف فهو الموق والماق، يقال لحظ إليه ولحظه، إذا نظر إليه بمؤخر عينه.

وقوله: يتكلم بجوامع الكلم: يريد بكلام كثير المعاني، قليل الألفاظ، ومنه قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»، وقيل معنى قوله: «أوتيت جوامع الكلم» يعني القرآن جمع الله تعالى بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة.

وقوله: ليس بالجافي ولا المهين: أي ليس بغليظ الخلقة ولا المحتقر، كما قال أنس: ليس بالطويل البائن ولا القصير، وفي رواية علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام: ليس بالطويل المُمَغَّط ولا القصير المتردّد، ويروى ولا المهين بضم الميم، فيكون معناه: ليس بالذي يجفو أصحابه ويهينهم.

وقوله: لم يكن يذمّ ذواقاً: أي شيئاً مما يذاق، ويقع على المأكول والمشروب.

وقوله: إذا غضب أعرض وأشاح أي أقبل. ـ وقوله: ثم جزّأ جُزأه بينه وبين الناس فيردُّ ذلك بالخاصة على العامة، معناه: أن العامة لا تصل إليه في هذا الوقت، بل يدخل عليه الخاصة، ثم تخبر العامة بما =

. . . . . .

= سمعت من العلوم منه، فكأنه عليه الصلاة والسلام أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة. وقيل قوله بالخاصة: أي من الخاصة، أي يجعل وقت العامة بعد الوقت الذي يخص به الأهل، فإذا انقضى ذلك الزمان، ردّ الأمر من الخاصة العامة فأفادهم. ـ وقوله: يدخلون رواداً: جمع رائد وهو الطالب، أي يدخلون عليه طالبين للعلم وملتمسين الحكم من جهته. ـ وقوله: ولا يفترقون إلا عن ذواق: أصل الذواق من الطعم، ولكن ضربه مثلاً لما ينالون عنده من الخير، قيل: أراد لا يفترقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مقام الطعام والشراب.

وقوله في وصف مجلسه: لا تؤبن فيه الحرم: أي لا يذكر فيه بقبيح أي أن مجلسه مصون من رفث القول وفُحش الكلام، ومنه قوله ﷺ في حديث الإفك: «أشيروا عليَّ في أناسٍ أبَنُوا أهلي» أي اتهموا أهلي، والأَبْنُ: التهمة، يقال: أبَنَ يأبَنُ إذا اتَّهم. وقوله: لا يقبل الثناء إلا من مكافىء: قال القتيبي: معناه أنه إذا أنعم على رجل نعمة، فكافأه بالثناء، قبل منه، وإذا أثنى عليه قبل أن ينعم عليه، لم يقبل منه، وقال أبو بكر الأنباري: هذا غلط، لأن أحداً لا ينفك من إنعام رسول الله ﷺ إذْ أن الله بعثه إلى الناس كافة، ورحم به، وأنقذ به، فنعمته سابقة إليهم لا يخرج منها مكافىء ولا غير مكافىء، فالثناء عليه فرض لا يتم الإسلام إلا به، وإنما المعنى أنه كان لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فإذا كان المُثْني عليه بهذه الصفة قبل ثناءه، وكان مكافئاً ما سلف من نعمة النبي ﷺ عنده.

وقال الأزهري: فيه قول ثالث أي إلا من مُكافىء، أي مقارن في مدحه غير مجاوز به حدَّ مثله، ولا مقصر به عمَّا رفعه الله إليه، قال: ألا ترى أنه يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن =

. . . . . .

= قولوا عبد الله ورسوله» فإذا قيل نبيُّ الله ورسوله، فقد وصف بما لا يجوز أن يوصف به أحد من أمته، فهو، إذاً، مدح مكافىء له.

هذا وقد نظم أحد الفضلاء الموريتانيين هو عبد الله السالم بن محمد بن حنبل الحسني، نظم صفة رسول الله ﷺ فقال:

حَمْداً لمنْ شَرَّفَ نُورَ الْحَقِّ ... بِحُسْنِ خُلْقِهِ وحُسْنِ الْخَلْقِ
صلى عليه بَارىء البرايا ... مَنْ خَصَّهُ بأفْضَلِ الْمَزَايَا
هَذَا ولمَّا فاتنا مَرْأَى النَّبي ... وكَانَ أسْنَى مَطْلَبٍ ومَرْغَبِ
وكانَ في نُعُوتِهِ البَهِيَّهْ ... مَزِيَّةٌ أعظِمْ بِهَا مَزِيَّهْ
قَدْ دَوَّنَ الْحُفَّاظُ مِنْهَا جُمَلا ... جَليلةً تَكْسُو الدَّرَارَى خَجَلا
جَمَعْتُهَا كَالْجَوْهَرِ المُنَظَّمِ ... برَسْمِ خِدْمةِ الْجَنَابِ الأعْظَمِ
فَقُلْتُ نَاقِلاً عَنِ الْحُفَّاظِ ... مُحَافِظاً جهْدِي على الألْفَاظِ
قَدْ كَانَ أحْسَنَ الْوَرَى وأجْمَلا ... وكانَ أبْهَى صُورةً وأكْمَلا
وكانَ فَخْماً بَادِناً مُفَخَّمَا ... وكانَ ضرْبَ اللحم لا مُطَهَّمَا
ولا مُكَلْثَماً عَظِيمَ الْهَامَةْ ... رَبْعَةَ قَدٍّ في اعْتِدَالِ القَامَةْ
لَا بَائناً مُشَذَّباً مُمَغَّطَا ... ولَا قَصِيراً مُتَرَدِّدَ الْخُطَا
وَمَعَ ذا يَطُولُ مَن مَّاشاهُ ... إذْ لَيْسَ يَعْلُوهُ الْوَرَى حَاشَاهُ
وكانَ أزْهَرَ وَكَانَ أنْوَرَا ... أبْيَضَ مُشْرَباً بِلَوْنٍ أحْمَرا
لَيْس بأمْهَقٍ ولَا بآدَمِ ... بوَجْهِهِ ضَوْءٌ كَضَوْءِ الجَيْلَمِ
وجه كما شئت من اسْتِدَارتِهْ ... يُطَّرِدُ الْجَمَالُ في أسرَّتِهْ
يَجْري عَلى خَدَّيْه مَاءُ الذَّهَب ... عَرَقُهُ كَلُؤْلُؤٍ مُلْتَهِبِ
يقولُ مَنْ يَنْعَتُهُ في الجمْلَةْ ... لم أرَ قَبْلَهُ وبَعْدُ مِثْلَهْ
يَهَابُه بَدِيهَةً مَن أبْصَرَهْ ... يُحِبُّه الخَليطُ مَهْمَا اخْتَبَرَهْ =

يُزْري[1] بهاء وجهه الحسان ... بالبدر في ليلة الأصْحيانِ
بل لو رأيته رأيت الشَّمْسَا ... طالعةً فطب بذاك نَفْسَا
وكانَ رَحْبَ راحَةٍ سَبْط العصب ... في وجهه عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبْ
أَلْيَنُ مِن مَسِّ الحرير كَفُّهُ ... أَطْيَبُ مِن شَذَا الْغَوالِي عَرْفُهُ
وكانَ أَدْعَجَ وكانَ أَنْجَلاَ ... أَهْدَبَ، أَبْلَجَ، أَزَجَّ أَشْكَلاَ
أَشْنَبَ أَفْلَجَ ضليعَ الفم ... يَفْتَرُّ عن كالبرد المنهمِ
ضحكه تبسُّمٌ وربَّما ... أبدى نواجذَ كَدُرٍّ نُظِّما
كان جَهير الصَّوت فيه صَحَلُ ... ونُطْقُهُ مُرَتَّلٌ مُفَصَّلُ
وكانَ ذا عقيقةٍ إنْ تَنْفرقْ ... فِراقها يتركها إنْ تَتَّفقْ
شَعَرُهُ مَغْدَوْدِفٌ يوفِّرُه ... لِشَحْمَةِ الأُذْنِ وَطَوْراً يَضْفِره
وكان رَجْلاً غَير جَعْدٍ مُفْرِطِ ... بَلْ كَانَ بَيْنَ سَبَطٍ وَقَطط
لَمْ يَبْلُغ الْعِشْرينَ شَيْبُ لِحيَتِهْ ... ورَأسِهِ وكانَ ذا مِنْ حِلْيَتِهْ
وكانَ شَثْنَ قَدَمٍ وَكَفِّ ... وسَائر الأطرافِ أَقْنَى الأَنْفِ
وَوَاسِعَ الْجَبِينِ سَهْلَ الخدَّيْنْ ... شيحَ الذِّراعين طويلَ الزَّنْدَيْنْ
كانَ عَريضَ الصَّدْر كثَّ اللِّحيَةِ ... عُنقُهُ كمِثْل جيدِ دُمْيَةِ
ضَخْمَ الكراديس جليل الكتدين ... عبلَ الأَسَافِلِ وعَبْلَ الْعَضُدَيْنْ
أَجْرَدَ ذَا مَسْرَبة دَقيقهْ ... وعُكنَةٌ دائقَةٌ أنيقَهْ
بِمنكبَيْهِ شَعَرٌ وبأعَا ... لي الصَّدْرِ مِنْهُ والذِّراعَيْن مَعَا
وخَاتِمُ النبوَّةِ الَّذي كانَ لَهْ ... بنغضٍ يُسْرَى كزر الحجَلَهْ
أو مِثْلَ جُمْعٍ حَوْلَهُ خِيلاَنُ ... مِثْلَ الثآليلِ به يَزْدَانُ
كانَ مَسِيحَ الْقَدَمَيْن ينبُو ... عَنْ قَدَمَيْهِ المَاءُ إذْ يُصَبُّ

(١) في المخطوط عندي يجري بدل يزري وأثبت هذا لظني أن ذلك غلط.

خَمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ ذا حُموشَهْ في سَاقِهِ عَقِبُهُ مَنْهُوشَهْ
يُقْبِلُ في الْتفاتِهِ جَمِيعا وكان هَوْناً مَشْيُهُ ذريعا
يزول قلعاً إنْ مشى ويَخْطُو تكفُّؤاً كأنما يَنْحَطُّ
من صَبَبٍ وكانَ جُلُّ نَظَرِهْ لَحْظاً ومن سيماه غَضُّ بَصَرِه
يقلب كفَّه إذا هو عَجِبْ بِمَا يُشِيرُ ويُشيحُ إنْ غَضِبْ
ويَسْتنيرُ وجْهُهُ إذا يُسَرْ كأنَّه في الحُسْنِ قطعة قَمَرْ
وربَّما بعُودٍ أو بِمَخْصَرَهْ نَكَتَ في الأرْضِ لِهَمٍّ أضْمَرَهْ
يَجْلِسُ حَيْثُ مَجْلِسٌ به انْتَهَى صلى عليه ربه بلا انتها

ذكر شيء من أخلاقه الباهرة وشمائله الطاهرة

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت مِن خير قرون بني آدم قرناً بعد قرن حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»، وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع، قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى قريشاً من بني إسماعيل، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»، وقال الله تعالى: ﴿ نٓ، والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإنك لعلى خُلقٍ عظيم ﴾، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث قتادة عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، قال: سألت عائشة أم المؤمنين فقلت: أخبريني عن خُلُق رسول الله ﷺ، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، فقالت: كان خُلُقُه القرآن، قال ابن كثير في سيرته: ومعنى هذا أنه عليه السلام مهما أمره به القرآن امتثله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجبلية الأصلية العظيمة التي لم يكن لأحد من البشر ولا يكون على أجمل منها، وشرع له من الدين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله، وهو مع ذلك خاتم النبيئين فلا رسول بعده =

. . . . . .

= ولا نبي ﷺ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يحد ولا يمكن وصفه. اهـ. منه.

وقال مالك عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، ورواه البخاري ومسلم من حديث مالك.

وروى مسلم عن أبي كريب، عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، لا عبداً ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل.

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة جرى في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»، وقال: «وجدناه بحراً» وكان فرساً يبطأ، وفي رواية: «إنه لبحر»، وفي مسلم من حديث أنس: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ.

ولا شيء أدل على كمال شجاعته ﷺ من كونه يوم هوازن لما فر جمهور أصحابه يومئذ ثبت بأبي وأمي هو، وهو راكب بغلته الشهباء ينوه باسمه الشريف يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، وهو مع ذلك يركضها إلى نحور العدو وذلك برهان كامل على كمال شجاعته ﷺ وعلى كمال توكله على الله عز وجل.

وفي صحيح مسلم من حديث إسماعيل بن عُلية، عن عبد العزيز، =

. . . . . .

= عن أنس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنساً غلام كيس فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعت هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هكذا؟.

وأما جوده وكرمه ﷺ

أخرج الشيخان من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. وفي الصحيحين أيضاً من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا، وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لم يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه، قال: فأتاه رجل فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة.

قلت: هذا الرجل أراه صفوان بن أمية الجمحي رضي الله عنه، وإن كان كذلك فالغنم ليست من غنم الصدقة وإنما هي من غنائم هوازن، والله تعالى أعلم.

ولا شيء أدل على كرمه مما جرى من أفعاله في غنائم أوطاس، فقد ورد في السيرة أنه جاءه أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه فقال: يا محمد أعطني فقد أصبحت أغنى قرشي، فقال: «أعطوه مائة من الإبل وزنوا له أربعين أوقية من الذهب»، فقال: بأبي وأمي أنت ما أكرمك وأحلمك، وإنني يزيد؟ فقال ﷺ: «أعطوه مائة من الإبل وزنوا أربعين أوقية»، فقال: بأبي أنت ما أحلمك وأكرمك، وابني معاوية؟ فقال ﷺ: =

. . . . . .

= «أعطوه مائة من الإبل وزنوا أربعين أوقية»، فقال أبو سفيان: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله إن هذا لعطاء من لا يخشى فاقة، وقد تقدم أنه يومئذ مائة من الإبل لكل من معاوية بن أبي سفيان وأبيه، وحكيم بن حزام، وعلقمة بن علاثة، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، والحارث بن هشام، وجبير بن مطعم، ومالك بن عوف النصري، وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن الفزاري، وصفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، وغيرهم.

وأما تواضعه ﷺ، فقد كان في غاية التواضع، فقد روى الإمام أحمد والنسائي من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، وزاد النسائي: حميد عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال له رجل: يا سيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله». وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله».

وأسند البيهقي إلى عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقلّ اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخُطبة، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد ولا مع الأرملة حتى يفرغ لهم من حاجاتهم.

ومن تواضعه ما رواه الإمام أحمد قال: ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً وكان يهدي النبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ زاهراً باديتنا ونحن حاضرته»، وكان رسول الله ﷺ يحبه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع =

[وخُصَّ أيضاً صَاحِبُ الْمَقَامِ
بأنَّ مَن رآه في المنامِ](٥٤)
[فقد رآهُ حَقّاً فالأمِينُ
لَمْ يَسْتَطِعْ مثاله اللّعينُ](٥٥)
[وأنَّه مسجدِهِ لَو وُسِّعَا
لَمْ تَخْتَلِفْ أحْكَامُهُ فَلْتَسْمَعَا](٥٦)
[مِثْل المضَاعَفَة في الأجُور
صلى عليه بَاعِثُ الْقُبُور](٥٧)
[وَمِثْلُهُ مَسْجِدُ مَكَّةَ الحرم
أسأل رَبِّيَ الْوُقُوفَ بالحَرم](٥٨)
[كَذَا عُمُومُ دَعْوَةِ الرِّسَالَةْ
خُصَّ بِهَا ذُو الْجُودِ والْبَسَالَةْ](٥٩)
[إنْساً وجِنّاً وكذَا الملائكِ
وبَعْضُهُمْ صَحَّحَهُ فيما حُكِي](٦٠)

= متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «من يشتري العبد» فقال: يا رسول الله إذن والله تجدني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد»، أو قال: «لكن عند الله أنت غال»؛ قال ابن كثير: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين. هذا، ولولا الخروج عن الموضوع لأطلنا في نقل بعض من شمائله ﷺ.

(٥٤ - ٦٠) وقولها، رحمها الله: وخص أيضاً صاحب المقام. الخ.. البيتين، تريد به، أنه ﷺ، وهو المراد بصاحب المقام تعني المقام المحمود، وسيأتي الكلام عليه مفصلاً إن شاء الله، تريد أنه ﷺ خصه الله تعالى بأن من رآه =

. . . . . .

= في المنام فقد رآه حقاً لأنه ﷺ معصوم من أن يتمثل الشيطان بصورته.

وقد ثبت في الآثار الصحيحة ما يثبت هذه الخصوصية، وألفاظها مختلفة، ففي رواية: «من رآني في المنام فقد رآني»، وفي رواية لمسلم: «فسيراني في اليقظة»، وفي رواية: «فكأنما رآني في اليقظة»، رواه جماعة وصححه الترمذي: «فقد رآني في اليقظة»، بدل قوله: «فسيراني»، وعند مسلم: «فقد رآني الحق».

وذكر الترمذي: «من رآني بأي صفة كنت فليبشر وليعلم أنه قد رآني الرؤيا الحق»، رؤية الحق لا الباطل، وكذا قوله: «فقد رآني» لأن اتحاد الشرط والجزاء دل على الغاية في الكمال أي فقد رآني رؤيا ليس بعدها شيء، فهو على التشبيه والتمثيل كقوله: «فكأنما رآني في اليقظة»، قال ابن بطال: وقوله: «سيراني في اليقظة يريد تصديق تلك الرؤية في اليقظة وصحتها على الحق، لا إنه يراه في الآخرة فقط لأن كل أمته كذلك». اهـ. باختصار من أشرف الوسائل وقولها عليها رحمة الله: فالأمين لم يستطع الخ.. يؤيده ما ورد عنه ﷺ: «إنَّ الشيطان لا يتمثل بي» والحكمة في عدم تمثيل الشيطان به ﷺ هي أن الله خلقه هادياً فلو تمكن الشيطان من الظهور بصورته ﷺ اختلط الحق بالباطل. والله الموفق.

قلت: الذي منع الشيطان منه هو التمثل بصورته ﷺ الثابتة بالسنة ولذلك، ينبغي للرائي له في المنام أن يكون عالماً بصورته ﷺ الواردة في السنة، وإلا فقد يتمثل الشيطان بصورة غير صورته ﷺ ويدعي كذباً أنه رسول الله ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يقل: إنَّ الشيطان لا يكذب عليَّ، وإذن، فإن الذي وصف بأنه لا يستطيع التمثل به هو وصفه الشريف، فليكن الرائي عالماً بصورته الشريفة، والله الموفق.

ومرادها بقولها، وإنه مسجده لو وسعا الخ.. تريد به، والله تعالى =

. . . . . .

= أعلم، أن مسجده ﷺ الذي قال في حقه: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»، إذا جرى توسيعه، كان ذلك الأجر الذي ذكره ﷺ ثابتاً في الزيادة بالغة ما بلغت، وكذلك مسجد مكة المكرمة زادها الله شرفاً.

قلت: ما ذكرته في مسجد رسول الله ﷺ معقول لأن مضاعفة الأجر إنما ثبتت في المسجد دون حرم المدينة المنورة، وأما حرم مكة فإنه لا تتصور زيادته لأن المسجد الحرام يطلق على حرم مكة كله كما تشهد بذلك الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿ إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾، ومعلوم أن العهد وقع بالحديبية، وكقوله تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ﴾ الآية. ومعلوم أن أصح الروايات أن الإسراء كان من هضبة أجياد من بيت أم هانىء، إلى غير ذلك من الآيات، وإذاً، فإنه يبدو لي أنه لا تصور لزيادة المسجد الحرام حتى تثبت الزيادة في الأجر في هذه الزيادة في المسجد.

وقولها، عليها رحمة الله، كذا عموم دعوة الرسالة الخ، تريد به، والله تعالى أعلم، أنه ﷺ خص بعموم رسالته إلى الخلق كافة، فقد روى أبو ذر وابن عمر وابن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، أنه ﷺ قال: «أعطيت خمساً، وفي بعضها ستاً، لم يعطهن نبي قبلي»، إلى أن قال: «وبعثت إلى الناس كافة» الخ الحديث الذي أخرجه أحمد، والبزار، والبيهقي عن ابن عمر، وأخرجه الطبراني، وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس، وأخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله. وفي رواية لهذا الحديث: «وبعثت إلى الخلق كافة» وكافة هنا حال بمعنى جميعاً، وهو يشمل الإنس والجن، وهل يشمل ذلك الملائكة عليهم الصلاة والسلام؟ فقد ذكر شهاب الدين الخفاجي: وعموم البعثة مخصوص به ﷺ بالأحاديث الصحيحة، ولا يرد عليه أن نوحاً عليه =

. . . . . .

= الصلاة والسلام كان مبعوثاً لأهل الأرض بعد الطوفان لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه، وقد كان مرسلاً إليهم، لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته، وإنما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق في الموجودين، على أن إرساله عليه السلام إنما كان لقومه، ولم يأت ما يدل على عموم رسالته؛ وأما دعاؤه على أهل الأرض وإهلاكهم، فلا يدل على ذلك، لجواز أن يكون أرسل غيره في مدته ولم يؤمنوا به، فلذا دعا عليهم، قال ابن حجر: هذا جواب حسن، إلا أنه لم ينقل أنه نبىء في زمنه غيره، وقيل غير ذلك من الأجوبة.

وقولها، عليها رحمة الله:

إنساً وجناً وكذا الملائك وبعضهم صححه فيما حكى

تريد به، والله تعالى أعلم، أن عموم رسالته يشمل الإنس والجن، وأن بعض العلماء صحح، شمول عموم رسالته أنه أرسل إلى الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وسوف نشبع هذا الموضوع بحثاً بإذن الله، فقد بحث ابن عمنا العلامة الدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب الجكني ثم الإبراهيمي، فقد بحث هذا الموضوع في رسالته: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، وإني سوف أستجلب هذا البحث النفيس هنا مختصراً ما أمكنني إلا أن القلم ربما جمح فاستوعب كما يقتضيه المقام، ولكل مقام مقال.

يقول ابن السبكي في خاتمة جمع الجوامع ما نصه: وخص محمد ﷺ بأنه خاتم النبيين المبعوث إلى الخلق أجمعين، قال ابن حلولو القيرواني في الكلام على هذا المحل: وقول المصنف إلى الخلق أجمعين يتناول الجن والملائكة، أما دخول الجن فمجمع عليه، وظواهر الشرع قاطعة بذلك، وأما الملائكة، فذكر وليُّ الدين في دخولهم خلافاً، وحكى المحلى عن الفخر الإجماع على أنه عليه

. . . . . .

= السلام لم يكن رسولاً إليهم. وقد ذكر السيوطي في الحاوي أدلة أيد بها إرساله إلى الملائكة بعد أن رجح في التقريب وفي شرح الكوكب الساطع أنه غير مرسل إليهم، والقاعدة المعروفة في الأصول أن المجتهد إذا روي عنه قولان متعاقبان يقدم قوله الأخير على الأول ويكون بمثابة الناسخ له.

قال في مراقي السعود مشيراً إلى هذه المسألة:

وقولُ مَنْ عَنْهُ رُوي قَوْلَانِ مُؤَخَّرٌ إذْ يَتَعَاقَبَانِ

أمَّا عموم دعوة رسالة محمد ﷺ للخلق كافة، فإنه ثابت بالقرآن والسنة النبوية الصحيحة، وسوف ترى من ذلك بعض الآيات والأحاديث منها ما يتناول عموم لفظه الملائكة ومنها ما لا يتناول عموم لفظه ذلك. من هذه الآيات قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُل لَّا أَسْئَلُكم عَلَيْه أجْراً، إنْ هُوَ إلَّا ذِكْرَى لِلْعَـٰلَمِين ﴾ ٩٠ ـ ومنها قوله تعالى في سورة الأنعام أيضاً: ﴿ وأوحُي إليَّ هَذا القرآن لأُنْذِركُمْ به وَمَنْ بَلَغَ ﴾ ١٩. ـ ومنها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قُلْ يـٰأيها النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ١٥٨. ـ ومنها قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قل يـٰأيها النَّاسُ قد جاءكم الحَقُّ من رَّبِّكُمْ، فَمَنِ اهْتَدَى فإنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، ومَنْ ضَلَّ فإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ ١٠٨. ـ ومنها قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْر إنْ هُوَ إلَّا ذِكْرٌ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ١٠٤. ـ ومنها قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ الر كِتَابٌ أنْزَلْنَـٰهُ إليك لتُخْرِجَ النَّاسَ من الظُّلُمَـٰت إلى النُّور ﴾ ١. ـ ومنها قوله تعالى في سورة إبراهيم أيضاً: ﴿ هذا بَلَـٰغٌ للنَّاسِ ولينذروا به ﴾ من الآية ٥٢. ـ ومنها قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وما أرسَلْنَـٰكَ إلا رحمة لِلْعَـٰلمين ﴾ ١٠٧. ـ ومنها قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ تَبـٰرك الذي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلى عَبْدِه لِيَكُونَ لِلعَـٰلِمينَ نَذيراً ﴾ ١. ـ ومنها قوله =

. . . . . .

= تعالى في سورة القلم: ﴿ وما هو إلا ذكر للعـٰلمين ﴾ ٥٢. ـ ومنها قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ٢٨. ـ ومنها قوله تعالى في سورة صٓ: ﴿ إن هو إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِين ﴾ ٨٧. إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة: فمنها ما ثبت في صحيح مسلم والترمذي من أنه ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت ليَ الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

واللفظ المتفق عليه: «أُعْطِيتُ خَمْساً لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي: كان كل نَبِيٍّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِه خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى كُلِّ أحمر وأَسْوَد، وأُحِلَّتْ ليَ الْغَنَائِمُ، ولم تحل لنبيٍّ قَبْلي، وجُعِلَتْ لي الأرض طَهُوراً ومَسْجداً، فأيُّما رَجُل أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وأُعْطيتُ الشَّفَاعة».

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ بأَرْبَعٍ: جُعِلَت الأرضُ لأمّتي مَسْجِداً وَطَهُوراً، وأرسلت إلى الناس كافة، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر بين يدي، وأُحِلَّتْ ليَ الغنائم».

وأخرج البخاري في تاريخه، والبزار، والبيهقي، وأبو نعيم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي من الأنبياء: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ولم يكن أحد من الأنبياء يصلي حتى يبلُغَ محرابه، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يكون بين يديَّ إلى المشركين فيقذف الله الرعب في قلوبهم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت أنا إلى الجن والإنس، وكانت الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله، وأمرت أنا أن أقسمه بين فقراء أمَّتي، لم =

. . . . . .

= يبق نبي إلاَّ أعْطي مسؤوله، وأخرت أنا دعوتي شفاعة لأمتي» إلى غير ذلك من الأحاديث.

وانعقد إجماع الأمة على أنه ﷺ أرسل رسالة عامة إلى الناس جميعاً، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين، ومستند هذا الإجماع القرآن والسنة الصحيحة الصريحة، وقد تقدم بعضاً من ذلك مما فيه كفاية، وأمَّا رسالته ﷺ إلى الجن فهي ثابتة أيضاً بالكتاب والسنة والإجماع فالقرآن يقول في سورة الجن: ﴿ قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ ١ و٢. ـ وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولَّوْا إلى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجركم من عذاب أليم ﴾ الآيات ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١.

فهذه الآيات شاهدة أن رسول الله ﷺ أرسله الله إلى الجن، وأنه قرأ عليهم القرآن، وأنهم آمنوا به وذهبوا يدعون قومهم إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وينذرونهم العذاب إن هم امتنعوا عن الإيمان ويبشرونهم بالثواب إن هم استجابوا إلى الإيمان.

وأما السنة: فقد ثبت في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر =

. . . . . .

= السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ قل أوحى إليَّ ﴾ الآيات، هذا لفظ البخاري. ـ وأما رواية مسلم ففي صدرها عن ابن عباس: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم وإنما أوحي إليه قول الجن، وباقي روايته يوافق رواية البخاري.

وروى مسلم في صحيحه قال: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى عن داود، عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فألمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: استطِر أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، فانطلق بنا فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم» إلى غير ذلك من الأحاديث، فلم يبق مجال للشك في شمول رسالته ﷺ للجن بعدما ثبت عنه ﷺ برواية أصحابه عنه أنه قرأ القرآن على الجن وشهادة القرآن

. . . . . .

= عليهم بأنهم آمنوا وتبرأوا من الشرك، وأنهم تحملوا دعوة قومهم إلى الإيمان به، وبالله تعالى التوفيق.

وأما شمول رسالته ﷺ للملائكة فقد جرى الخلاف فيه بين العلماء فقد قال قوم منهم الفخر الرازي، والبيهقي، وأبو السعود، والنسفي، إن الملائكة لا تدخل في عموم رسالته ﷺ، وقال آخرون: إن عموم رسالته ﷺ يشمل الملائكة كما يشمل الجن والإنس، وأهل هذا القول تمسكوا بظواهر نصوص الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿ وما أرسلنك إلا رحمةً للعلمين ﴾ الآية، فالعالمون كل ما خلق الله جل وعلا، والملائكة من جملة ما خلق الله، فيكون ﷺ أرسل رحمة لهم كما أرسل رحمة لغيرهم.

وكقوله تعالى: ﴿ تبرك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعلمين نذيراً ﴾ الآية، وكقوله تعالى: ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ فالملائكة هم أخوف خلق الله من وعيد الله. والملائكة يدخلون في شمول قوله تعالى: ﴿ ليكون للعلمين نذيراً ﴾ كما شمل الإنس والجن لأن الكل خلق الله ويشمله العالمون، وقد أجمع المفسرون على أن قوله تعالى: ﴿ الحمد لله ربِّ العلمين ﴾ شامل للإنس والجن والملائكة، فكذلك هنا يشمل الثلاثة كما شمله هناك لأن الأصل إبقاء اللفظ على دلالته العمومية حتى يدل دليل على إخراج شيء منه، ولا دليل هنا لإخراج شيء من خلق الله تعالى من هذا العموم لا من كتاب ولا من سنة.

واستجلب السيوطي ما ذكر أنه دليل على إرسال رسول الله ﷺ إلى الملائكة بطريق الخصوص هو قوله تعالى: ﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً، سبحنه، بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم، وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته =

. . . . . .

= مشفقون، ومن يقلْ منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ من سورة الأنبياء، قال: إن المراد بقوله تعالى: ﴿ ومن يقل منهم ﴾ هم الملائكة. وذكر أن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة، أخرجوا عن ابن عباس أنه قال: إن الله قال لأهل السماء: ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان محمد ﷺ في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى: ﴿وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ فثبت بذلك إرساله إليهم لأن القرآن قد بلغهم.

واستدل كذلك بما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن عكرمة قال: صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد؛ وهذا يدل على أن الملائكة في السماء تصلي بصلاة أهل الأرض. ويدل لهذا الحديث الذي أخرجه الستة ومالك بن أنس والشافعي: «إذا أمَّن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» والحاصل أن آية الفرقان وما شاكلها من الآيات، والحديث الصحيح: «وأرسلت إلى الناس كافة» أدلة صريحة في دخول الملائكة في هذه العمومات، فإذا وجد المانع لدخول الملائكة في هذه العمومات دليلاً يخرجهم به من كتاب أو سنة فليأت به، ولن يأتي به إن شاء الله، وإلا فإن عمومات الوحي يجب التمسك بها حتى يرد مخصص، والأكثر من أهل العلم يرى أنه لا يجب البحث عن المخصص ولا يتوقف العمل بالعام حتى يبحث عن مخصص له.

هذا، وليس عندي صواباً ما ذهب إليه الشيخ محمد ولد سيدي ولد الحبيب في رسالته هذه القيمة من أنه يمكن عنده أن تكون هذه العمومات مخصصة بالنسبة للملائكة بمخصص غير لفظي هو العقل، =

[وأنَّـهُ فـي الـذِّكْـرِ لَـمْ يُـخَـاطَـب
إلَّا بِـأيُّـهَـا الـرَّسُـولُ والـنَّـبـي][٦١]
[أو بـالـمـدَّثِّـرُ أو الـمُـزَّمِّـل
صَلَّى عَلَيْـهِ النُّورُ مَـا النُّـورُ تُلي][٦٢]

= قال: لأن الملائكة مؤمنون فلا يحتاجون إلى إنذار لأنهم عباد مكرمون لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قلت: هم كذلك ولكنه لا مانع أن يرسل إليهم محمد ﷺ إظهاراً لشرفه وكرامته عند الله كما ذهب إليه البناني، والله تعالى عالم بأنهم يجيبون ويمتثلون أوامره لأنهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، ألا ترى إلى أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين أنه إن بعث وهم أحياء ليؤمنن به؟ أليس هؤلاء عباداً مكرمين معصومين؟ وإنما كل ذلك تشريفاً لهذا الرسول وإظهاراً لكرامته عند ربه، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وقولها رحمها الله: ذو الجود والبسالة: الجود معروف، وأتى بعض أدلة على جوده ﷺ، والبسالة: الشجاعة، والباسل الأسد، والشجاع. جمعه بُسَلاءُ وبُسْلٌ، وقد بسل ككرُم، بسالة. اهـ. القاموس المحيط.

(٦١ و٦٢) وقولها، عليها رحمة الله، وأنه في الذكر الخ، البيتين، تريد به، والله تعالى أعلم، أن من خصائص رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ أنه لم ينادِ في كتاب الله عز وجل بعلمه فلم تدخل ياء النداء على اسمه في كتاب الله وإنما كان نودي بقوله تعالى: ﴿ يـأيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ﴾ الآية، وبقوله تعالى: ﴿ يـأيها المدثر قم فأنذر ﴾ الآية، وبقوله تعالى: ﴿ يـأيها النبي جاهد الكفار ﴾ الآية، وبقوله تعالى: ﴿ يـأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾؛ والمدثر والمزمل بمعنى فالمدثر إذا غطى والمزمل كذلك وأصلهما متدثر ومتزمل، فأدغمت التاء فيما بعدها، وجاء في الحديث أنهما من أسمائه ﷺ قال الأبي: وذكر في =

[وَبِحَيَاةِ الْهَادِي أَقْسَمَ الْحَكَمْ
وفي اخْتِصَاصِهِ بِذِي فَضْلٌ حُتِمْ][٦٣]

= العتبية أنه ﷺ قال: «إن لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». قال ابن رشد: ليس في اللفظ أنه ليس له غير هذه الأسماء، وأيضاً فإنها كلها مشتقة كما أشار إليه قوله: «الذي يمحو الله بي الكُفر» فلا يمنع أن تكون له أسماء مشتقة من صفاته ﷺ الحميدة كما يروى أنه قال: «أنا المقفى ونبي التوبة ونبي الملحمة» فالمقفى كالعاقب يقفو أو يعقب من تقدمه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونبي التوبة لأن به تاب الله سبحانه وتعالى على من تَاب، ونبي الملحمة الذي يذب بالقتال عن الدين، فلم يذكر المدثر والمزمل كما ترى. اهـ. منه لكن بتصرف قليل.

وقولها، عليها رحمة الله: ما النور تلي، أي مدة بقاء النور يتلى، فـ «ما» هنا مصدرية ظرفية، ومرادها بالنور هنا القرآن، فهي تريد أن تدوم صلاة الله عليه مدة دوام تلاوة القرآن أي ما بقيت الدنيا.

أما إخوته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنما كان خطابهم بأسمائهم كقوله تعالى: ﴿ ينوح اهبط بسلام منا ﴾، ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾، ﴿ وما تلك بيمنك يموسى ﴾، ﴿ يعيسى بن مريم أأنت قلت للناس ﴾ الآية.

(٦٣) ومرادها بقولها: وبحياة الهادي أقسم الحكم... البيت، هو أنه ﷺ خصه الله تعالى بين إخوته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بكونه جل جلاله أقسم بحياته فقال: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ الآية، ولقد حاز ﷺ بهذه الخصوصية من الفضل ما لا يعلمه إلا الله.

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة: حدثنا أبو بكر بن خلال قال ثنا الحارث بن أبي أسامة، قال ثنا عبد العزيز بن أبان قال: ثنا سعيد بن =

. . . . . .

= زيد عن عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلق الله عز وجل وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾.

حدثنا محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: ثنا محمد بن مرزوق قال: ثنا مالك بن يحيى بن عمر بن مالك النكري قال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ قال: وحياتك يا محمد.

قال الشيخ: والمعنى في هذا القسم أن المتعارف بين العقلاء أن الإقسام لا يقع إلا على المعظمين والمبجلين والمكرمين، فتبين بهذا جلالة الرسول ﷺ وتعظيم أمره وما شرع الله عز وجل على لسانه من الشرائع، وتنبيهه عباده على وحدانيته ودعائه إلى الإيمان به وعرفت جلالة نبوته ورسالته بالقسم الواقع على حياته إذ هو أعز البرية وأكرم الخليقة ﷺ تسليماً.

إلى أن قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي، وعبد الله ابن إبراهيم بن أحمد المطلقي قالا: ثنا أبو نعيم بن عدي، ثنا محمد بن عيسى قال: ثنا محمد بن أبي طيبة، عن أبيه، عن عبد الله بن جابر، عن عطاء، عن أم كرز أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا، وسائقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا أبلوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً من الرب تعالى إذا اجتمعوا، أقول فأتكلم فيصدقني، وأشفع فيشفعني، وأسأل فيعطيني». اهـ. منه.

وفي تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٥٥ ما نصه: أقسم تعالى بحياة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع =

. . . . . .

= وجاه عريض، قال عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال تعالى: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾، يقول: وحياتك، وعمرك، وبقائك في الدنيا ﴿ إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾، رواه ابن جرير. اهـ.

وفي القرطبي جـ ١٠ ص ٣٩: قال القاضي أبو بكر بن العربي، قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله تعالى هاهنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له إن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون.

قال القرطبي: وهكذا قال القاضي عياض: أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ، وأصله ضم العين ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال، ومعناه: وبقائك يا محمد، وقيل وحياتك، وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف، قال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد ﷺ، لأنه أكرم البرية عنده، انتهى محل الغرض منه.

وفي المحرر الوجيز لابن عطية الجلد الثامن ص ٣٣٨ ما نصه: والعَمْرُ، والعُمْرُ بفتح العين وضمها واحد، وهما عمر الحياة ومدتها، ولا يستعمل في القسم إلا بالفتح، وفي هذه الآية شرف لمحمد ﷺ لأن الله تعالى أقسم بحياته، ولم يفعل ذلك مع بشر سواه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. اهـ.

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: قوله تعالى: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾: أخرج ابن أبي شيبة، والحرث ابن أبي أسامة، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل عن ابن عباس قال: =

. . . . . .

= ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ يقول وحياتك يا محمد، وعمرك، وبقائك في الدنيا. وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد قال: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ وحياتك يا محمد. اهـ. منه.

وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ما نصه: ومن فضائله إخبار الله عز وجل عن إجلال قدر نبيه ﷺ وتبجيله وتعظيمه، وذلك أنه ما خاطبه في كتابه ولا أخبر عنه إلا بالكناية التي هي النبوة والرسالة التي لا أجل منها فخراً ولا أعظم خطراً، وخاطب غيره من الأنبياء وقومه وأخبر عنهم بأسمائهم ولم يذكرهم بالكناية التي هي غاية المرتبة إلا أن يكون الرسول ﷺ في جملتهم بمشاركته معهم في الخطاب والخبر، فأما في حال الانفراد فما ذكرهم إلا بأسمائهم، والكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب المجلل والمدعو العظيم، لأن من بلغ به غاية التعظيم كنى عن اسمه، إن كان ملكاً قيل له: أيها الملك، وإن كان أميراً، قيل له: يا أيها الأمير، وإن كان خليفة قيل له: يا أيها الخليفة، وإن كان دياناً قيل له: يا أيها الحبر، أيها القس، أيها العالم، أيها الفقيه، ففضل الله عز وجل نبيه ﷺ وبلغ به غاية الرتبة وأعالي الرفعة فقال نبيه: ﴿ يـأيها النبي إنا أرسلنـك شاهداً ومبشراً ونذيـراً ﴾، ﴿ يـأيها النبي حسبـك الله ﴾، ﴿ يـأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفـر ﴾، ﴿ يـأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ في آيات كثيرة.

وخاطب آدم ومن دونه من النبيين بأسمائهم، وكذلك الإخبار عنهم، فقـال: ﴿ يـآدم اسكن أنت وزوجك الجنـة ﴾، ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ في الإخبار عنه، و﴿ يـنوح اهبط بسلام منا ﴾، ﴿ ونادى نوح =

. . . . . .

= ابنه ﴾، و﴿ يـإبراهيم أعرض عن هذا ﴾، ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾، و﴿ يـموسى إني اصطفيتـك على الناس ﴾، وقـال: ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾، و﴿ يـعيسى بن مـريم اذكر نعمتي عليك ﴾، ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يـبني إسرائيل وكذلك غيرهم من الأنبياء: ﴿ يـهود ما جئتنا ببينة ﴾، و﴿ يـصالح ائتنا بعذاب الله ﴾، و﴿ يـداود إنا جعلنـاك خليفة ﴾، ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾، و﴿ يـزكرياء إنـا نبشرك ﴾، و﴿ يـحيـى خـذ الكتـاب ﴾؛ كـل أولئـك خـوطبـوا بأسمائهم، وكل موضع ذكر محمداً عليه السلام فيه باسمه أضاف إليه ذكر الرسالة فقال: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾، وقال: ﴿ محمد رسـول الله والذين آمنوا معه ﴾، وقال: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله ﴾، وقال: ﴿ فآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم ﴾ فسماه ليعلم من جحده إن أمره وكتابه هو الحق، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد ولو لم يسمه لم يعلم اسمه من الكتاب، وكذلك سائر الأنبياء لو لم يسمـوا في الكتاب ما عرفت أساميهم كتسمية الله له محمداً، وذلك كله زيادة في جلالته، ونبله، ونباهته، وشرفه، لأن اسمه مشتق من اسم الله كما مدحه عمه فقال:

وثـق لـه من اسمـه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ثم جمع في الذكر بين اسم خليله ونبيه فسمى خليله باسمه وكنى حبيبه بالنبوة فقال: ﴿ إن أولى الناس بإبـراهيم للذين اتبعوه وهـذا النبي ﴾، فكناه إجلالاً له ورفعةً لفضل مرتبته ونباهته عنده؛ ثم قدمه في الذكر على من تقدمه في البعث فقال: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نـوح والنبيين من بعـده وأوحينـا إلى إبـراهيم وإسمـاعيل وإسحـق =

. . . . . .

= ويعقوب ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾، وقال: ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾.

إلى أن قال: ومن فضائله أن الناس نهاهم الله عز وجل أن يخاطبوا رسول الله ﷺ باسمه، وأخبر عن سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم كقولهم: ﴿ يـموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾، وقوله: ﴿ يـعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ﴾، ﴿ يـهود ما جئتنا بينة ﴾، ﴿ يـصالح ائتنا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ لا تجعلوا دعَاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ فندبهم الله تعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة ترفيعاً لمنزلته وتشريفاً لمرتبته، خصه الله بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه. ثم قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وأنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، ومحمد بن إسحاق الأهوازي، قالا: حدثنا موسى بن إسحاق قال: حدثنا منجاب ابن الحارث قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ قال: كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ، وقال: قولوا يا نبي الله، يا رسول الله.

وحدثنا سليمان بن أحمد قال: ثنا بكر بن سهل قال: ثنا عبد الغني ابن سعيد، ثنا موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن ابن عباس، وعن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ يريد يصيح من بعيد يا أبا القاسم، ولكن كما قال تعالى في الحجرات: ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﴾.

[ورُؤْيَةُ الأمين للأمين
في وَصْفِهِ الأَصْلِيِّ مَرَّتَيْنِ][٦٤]
[إحْدَاهُمَا بالأُفُقِ المُبِين
والأُخْرى بالإسْراءِ باليَقِينِ][٦٥]
[خُصَّ بِهَا ذو الْمَنصِبِ العَلِيِّ
عن غيرِهِ مِنْ انْبَيَّا الْعَلِيِّ][٦٦]

---

(٦٤) قولها ورؤية الأمين الخ. ثلاثة أبيات، مرادها بالأمين الأول محمد ﷺ فإن الأمين لقبه لقبته به قريش في الجاهلية لفرط أمانته وصدقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، وأما الأمين الثاني في البيت فهي تعني به جبريل عليه السلام، فقد جاء في الذكر وصفه بذلك في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثَمَّ أمين ﴾.

لطيفة: حكى عياض في شفائه أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك رحمةً للعلمين ﴾ الآية، سأله قائلاً: «هل أصابك شيء من هذه الرحمة؟»، قال: نعم، لما لعن إبليس وطرد من رحمة الله ارتعدت فرائصي مخافة أن يحل بي ما حل به لأنه لم يبق موضع قدم في السماء إلا وسجد فيه لله عز وجل، ولم تزل فرائصي ترتعد حتى نزل عليك بواسطتي قوله تعالى: ﴿مطاع ثم أمين ﴾، فسكنت فرائصي لما أمنني الله بواسطتك، علما بأن سند هذه الحكاية ليس بذاك.

ومراد صاحبة النظم بالأبيات الثلاثة أن رسول الله ﷺ خص من بين إخوته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأنه رأى جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها مرتين، له ستمائة جناح ينثر منها اللؤلؤ والياقوت، ذكر ذلك القسطلاني والأبي، وقال في الشفا في تفسير قوله =

. . . . . .

= تعالى: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ الآيتين، رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، قال الخفاجي: لا في صورة تمثل بها، فإن الله أعطى الملائكة قوة التشكل بأي صورة أرادوا. اهـ.

ونقل ابن كثير في تفسيره جـ ٤ ص ٢٤٧: قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبو زرعة، حدثنا مصرف بن عمرو اليامي، وأبو القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف، حدثني أبي، عن الوليد، هو ابن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة، أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أمّا واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله: ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾.

وقال ابن كثير أيضاً في ص ٢٤٨: إن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلّى إليه فاقترب منه وهو على صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعدما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليتردّى من رؤوس الجبال، فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدّى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح، في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، قد سدَّ عظم خلقه الأفق، فاقترب منه فأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن عاصم، عن =

[وكَـوْنُـهُ أُهْـبِطَ إِسْـرَافِـيـلُ
عَلَيْـهِ قَبْـلَ أَنْ يَجيء جبـريـلُ](٦٧)
[ومَـا عَـلى غَـيْـرِ الأمـيـنِ أُهْـبِـطَا
مِنْ أَنْبِيَـاءِ اللهِ جَـل ذِي الْعَـطا](٦٨)

= أبي وائل، عن عبد الله أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم، قال ابن كثير: انفرد به أحمد.

وقال أحمد أيضاً: حدثني يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن منبه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، فدعا ربه عز وجل، فطلع عليه سواد من قبل المشرق، فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه صعق، فأتاه جبريل فنعشه ومسح البزاق من شدقه. ـ قال ابن كثير: تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود في هذه الآية: ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت». ـ قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد.

تقول، عليها رحمة الله، أنه ﷺ خص من بين إخوته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام برؤية جبريل عليه السلام على صورته الأصلية التي خلقه الله عليها، والله تعالى أعلم بمستندها لذلك الاختصاص، أما الرؤية نفسها فقد علمت أدلتها والحمد لله.

(٦٧ و ٦٨) وأما قولها رحمها الله، وكونه اهبط إسرافيل الخ.. البيتين، تريد به، والله تعالى أعلم، إن من خصائصه ﷺ كونه بُدىء بإرسال إسرافيل عليه السلام إليه بالوحي قبل نزول جبريل عليه السلام بالقرآن، وما أعلمه أتى =

[وبِطَهَارَةِ الَّذي مِنْهُ خَرَجْ
صَلَّى عَلَيْهِ الْحَقُّ مَا الحقُّ انْتَهَجْ][٦٩]
[وهذه لِكُلِّ الأنبياءِ
صَلَّى عَلَيْهِم دَائِمُ الْعَطَاءِ][٧٠]

= بوحي لأحد من أنبياء الله تعالى. قال القسطلاني: السابع هو ما ثبت عن الشافعي من طرق صحاح أنه ﷺ كان وكل به إسرافيل ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن. اهـ. منه بلفظه، ونقل الأبي مثله.

وقال ابن حجر في فتح الباري جـ ١ ص ٢٧: فائدة: وقع في تاريخ أحمد بن حنبل، عن الشعبي أن مدة فترة الوحي ثلاث سنين، وبه جزم ابن إسحاق، وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر، وعلى هذا فابتداء النبوة كان في شهر مولده ﷺ وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان، وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين، وهي ما بين نزول اقرأ ويا أيها المدثر، وعدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول القرآن فقط.

قال: ثم راجعت المنقول عن الشعبي من تاريخ الإمام أحمد، ولفظه من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة. وأخرجه ابن أبي خيثمة من وجه آخر مختصراً عن داود بلفظ بعث للأربعين ووكل به إسرافيل ثلاث سنين، ووكل به جبريل. اهـ. محل الغرض منه.

(٦٩) وقولها، عليها رحمة الله، وبطهارة الذي منه الخ.. البيتين، مرادها به، والله تعالى أعلم، أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مخصوصون بأن النجس منا طاهر منهم، وكيف لا؟ وهم صفوة الله من خلقه، فقد =

[وكَوْنُهُ لَمْ يُرَ قَطُّ أَثَرُ
قَضَاءِ حَاجَةٍ بمعذى يُؤْثَرُ][٧١]
[بَلْ كَانَتِ الأَرْضُ لِذاكَ تبتَلِعْ
صَلَّى عَلَيْهِ الْحَقُّ مَا الْحَقُّ اتَّبِعْ][٧٢]
[يُشَمُّ مِن مَّكَانِهِ المِسْكُ الذَّكي
لَا غَرْوَ إِنْ طَابَ جَمِيعُ ذا الزُّكى][٧٣]

= شرب مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه، دمه يوم أحد، وشرب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه دم حجامته ﷺ، وشربت أم أيمن بركة رضي الله عنها، بوله ﷺ، فقال ﷺ لمالك بن سنان: «من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان»، والله أعلم بسنده، وقال لعبد الله بن الزبير: «ويل لك من الناس وويل للناس منك» وهو متفق عليه، وقال لأم أيمن: «لن تشتكي بطبك بعد»، وقال الدارقطني: إنه على شرط البخاري.

وقولها: وكونه لم ير قط.. الخ.. البيتين، تريد به، والله أعلم، أنه ﷺ مخصوص بأنه لم ير شيء من حاجته البشرية إذا قضاها، تنشق الأرض لتبتلعَ ذلك، ولا غرابة، إلا أني لم أقف على نقل يؤكد ذلك، بل إنه تقدم لك أن أم أيمن رضي الله عنها شربت بوله ﷺ، والبول من حاجة الإنسان البشرية، إلا أنه يمكن الإجابة عن ذلك بأن هذه حاجة قضيت في إناء.

وقولها، عليها رحمة الله، يشم من مكانه.. البيت.. مرادها به، والله أعلم، أنه ﷺ يشم منه ومن كل مكان حل به رائحة أجمل الطيب، ولا بُعْدَ، ولا غرابة في كونه طيباً، ففي الحديث عن أنس رضي الله عنه: ما شممت رائحة قط مسكة ولا عنبرة، أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولا مسست شيئاً قط، خزة ولا حرير، ألين من كف رسول الله ﷺ، متفق عليه. =

[وأنَّـه يَـخُصُّ بـالأحْـكَـامِ
إذا يَـشَـاءُ بَـعْضَ ذَا الأنـامِ][٧٤]
[كَـجَـعْـلِه لِـذِي الـشَّـهـادَتَـيـن
شَـهَـادَةً تُـعْـدَلُ بـاثْـنَـتَـيْـن][٧٥]
[ومِـثْـلُهُ الـتَّـرْخِـيصُ فـي الـنِّـيـاحَـة
لِامْـرَأةٍ ذَاكَ لَـهَـا أبـاحَـة][٧٦]
[عَـلى جَـمَـاعَـةٍ مـن الـكـرام
تَـسَوَّتْ، عَـلَيْـهِ أفْـضَـلُ الـسَّـلامِ][٧٧]

= وروى أنس عن أم سليم، أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب، وكان كثير العرق. رواه مسلم.

وعن جابر بن سمرة، قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى وخرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدِّي، قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار. ـ أخرجه مسلم في صحيحه.

وعن ثمامة أن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيقيل عندها على ذلك النطع، قال: فإذا قام ﷺ، أخذت من عرقه وشعره ثم تجمعه في قارورة، ثم جمعته في سُك، قال: فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أمر أن يجعل في حنوطه من ذلك السُّك، قال: فجعل في حنوطه. رواه البخاري في صحيحه.

(٧٤ ـ ٧٧) وقولها، رحمها الله، وكونه يخص بالأحكام الخ.. الأبيات الأربعة، مرادها به، والله أعلم، أن من خصائصه ﷺ أنه يخص من شاء بأمته بما شاء من الأحكام فمن ذلك قوله ﷺ لأبي بردة بن دينار رضي الله عنه: «اذبحها، ولن تجزىء عن أحد بعدك» يعني العناق التي استشاره في التضحية بها. =

. . . . . .

= ومن ذلك جعله ﷺ شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي، ثم من بني خطمة، بشهادة رجلين، وهذا أمر ثابت في السنة.

وخزيمة هذا ذكره صاحب عمود النسب بقوله:

وجشم بعد اللتيا أسلموا خزيمة بن ثابت قرمهمُ

وهو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيان ابن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ثم من بني خطمة، وأمه كبشة بنت أوس من بني ساعدة، كنيته أبو عمارة، وهو ذو الشهادتين.

روى عنه ابنه عمارة أن النبي ﷺ اشترى فرساً من سواد بن قيس المحاربي فجحده فشهد خزيمة بن ثابت للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً»؟ فقال: صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً، فقال النبي ﷺ: «من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه»؛ قال ابن حجر في الإصابة: رواه أبو داود من طريق الزهري. وروى الدارقطني من طريق أبي حنيفة عن حماد، عن إبراهيم، عن أبي عبد الله الجدلي، عن خزيمة بن ثابت، أن النبي ﷺ جعل شهادته شهادة رجلين؛ وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت، قال: وجدتها مع خزيمة بن ثابت الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادتين. اهـ. انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر.

قلت: وفي رواية أن الذي اشترى الجوالا منه هو سواد بن الحارث ابن ظالم المري، وهذا الجواد هو المرتجز بن الملاءة وبالله تعالى التوفيق.

وما ذكرته من ترخيصه في النياحة لامرأة على جماعة من الكرام هلكت، فإن الذي ورد من ذلك مما اطلعت عليه ما ذكر في السيرة أن أم سلمة رضي الله عنها لما توفي ابن عمها الوليد بن الوليد بن المغيرة =

[وكَـوْنُـهُ خـاتِـمَ الأنْـبِـيـاءِ
وأنَّـه الـشَّـفِـيـعُ فـي الْـقَـضَـاءِ][٧٨]

= رضي الله عنه استأذنت رسول الله ﷺ أن تبكيه فأذن لها فجعلت تبكيه وتقول:

يـا عين فـابكي الـوليـد بْـ ـنَ الـوليـد بن الـمغيـرة
قـد كـان غيثـاً فـي السّـ ـسِنين ورحمـة فينـا منيـرة
ضحم الـدسيعـة مـاجـداً يسمـو إلى طلب الـوتيـرة
مثـل الـوليـد بـن الـوليـ ـد أبـي الوليـد كفى العشيرة

والله تعالى أعلم بسند ذلك، والله الموفق.

(٧٨) وقولها رحمها الله: وكونه خاتم الأنبياء، المراد به أن من خصائصه ﷺ كونه ختم الله به النبيين، والدليل على ذلك واضح لا يحتاج إلى جلب لأنه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ولا يرد على ذلك نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ومجيئه آخر الزمان لأنه يجيء حاكماً بشريعته ﷺ لا ناسخاً لها، وختمه للنبوة إكرام له ﷺ حيث لا تنسخ شريعته ولا يطول مكث أمته في الثرى، وإشارة إلى أن دينه كامل جامع لجميع الكمالات لا يحتاج إلى ملة أخرى تكمله أو تتممه، وما روي من قوله ﷺ: «لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله» الاستثناء لا يقتضي وقوع مشيئته على فرض صحته، والممنوع النبوة لا النبي، فيحتمل أن الذي تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لأنها جزء من أجزاء النبوة. انتهى ملخصاً من نسيم الرياض على الشفا لعياض، تأليف شهاب الدين الخفاجي وبالله تعالى التوفيق.

وقولها، عليها رحمة الله، وإنه الشفيع في القضاء، يظهر أنه تكرار مع ما تقدم من قولها: وإنه أول شافع فعوا... البيت. ذلك أنه أول ما يشفع فيه تعجيل الحساب في المحشر، وتلك هي شفاعته في فصل =

. . . . . .

= القضاء، وحديث الشفاعة أخرجه مسلم عن أنس بروايات لخص منها الأبي ما حاصل مضمونه: يحشر الناس أنواعاً ركباناً ومشاةً على وجوههم، على أرض بيضاء كالفضة ليس بها علم لأحد أي مما يستتر به أحد، فإذا استقروا بها تناثرت النجوم وطمس ضوء الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بمحو سراجها، فينا الناس كذلك دارت السماء فوق رؤوسهم وانشقت مع شدتها وعظمها وصلابتها وغلظها الذي هو مسيرة خمسمائة عام، فيا هول صوتها في أنفس الخلائق ثم تتناثر وتسيل كالفضة المذابة إلى صفرة وصارت وردة كالدهان، وصارت السماء كالمهل والجبال كالعهن، وانتشر الناس كالفراش المبثوث عراة، قالت أم سلمة رضي الله عنها: قلت ينظر الناس بعضهم إلى بعض؟ قال: شغلوا عن ذلك ﴿ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ فيقفون ومعهم أهل السموات السبع وأهل الأرض من جن وشيطان، شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم، يموج بعضهم إلى بعض ويدفعه لشدة الزحام، وتدنو الشمس من رؤوسهم وقد تضاعف لهيبها ويجتمع مع حرها وحر الأنفاس واحتراق القلوب من الخوف والحياء من العرض، ويفيض العرق من أصل كل شعر على صعيد الأرض، ثم يرتفع إلى أبدانهم بقدر منازلهم عند الله عز وجل؛ فيبلغ من بعض إلى ركبتيه، ومن بعض إلى شحمة أذنيه ويكاد أن يغيب فيه، وفي الصحيح أن العرق يبلغ في الأرض سبعين ذراعاً، وسكنت حينئذ الأصوات، وقلَّ الالتفات، وبرزت الخفيات، وظهرت الخطيئات، وشاب الصغير، وسكن الكبير، ونشرت الدواوين، ووضعت الموازين، وبرزت الجحيم، وقطعت الجوارح ﴿ وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾، فيقفون كذلك خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، لا =

. . . . . .

= يكلمون ولا ينظر في أمرهم حتى إن بعضهم ينادي ويقول: يا رب أرحني من هذا المكان ولو إلى النار، ولم يقع بعد حساب ولا عقاب سوى ما كان لحقهم من شدة نفخة الصعقة التي تنفرج لها القلوب، فيقومون وقد تغيرت الوجوه واغبرت الأبدان، فإذا بلغ بهم هذا الجهد طلب بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على الله عز وجل في الإراحة من هذا الموقف، فلم يبق نبي يقصد إلا ويدفعهم كما ذكر. اهـ. نص حديث مسلم: «فيأتون آدم ﷺ فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله تعالى»، قال عياض: قول كل من الأنبياء لست هناكم، يحتمل أنه لعلمه أنها ليست له بل لغيره حتى ينتهي الأمر إليه، ويحتمل أنها لعلمه أنها للنبي ﷺ ولكن علم أنه كذا يقع أي من إتيانهم كلا قبله ﷺ وإظهارهم العجز. اهـ.

وقال عياض أيضاً بعد هذا الكلام بثلاث صفحات وزيادة ما نصه: جاء في هذا الحديث، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الذي يبدأ به بعد الإذن شفاعة الإخراج، ويأتي في الحديث نفسه من طريق خذيفة رضي الله عنه فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له، وترسل الأمانة والرحم بجنبي الصراط، وبهذا يتصل الحديث، لأن هذه هي الشفاعة التي لجأ فيها الخلق ليريحهم من الموقف، ثم بعد ذلك تحل شفاعته ﷺ وشفاعة غيره. وجاء في أحاديث الرؤية والمحشر المتقدمة الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين، ثم تحل الشفاعة ويوضع الصراط، فيجمع بين هذه الأحاديث بأن يكون الأمر بالاتباع هو أول الفصل وأول مقامه المحمود والشفاعة المذكورة فيه هي =

[وبِلواء الحمد والمقام
واخْتَلَفَتْ أحاديثُ الْمَقامِ][79]

= الشفاعة في المجيزين على الصراط، وهي له ﷺ لا لغيره كما نص عليه في الأحاديث ثم بعدها شفاعة الإخراج. اهـ.

قال الأبي: قوله: وبهذا يتصل الحديث، يعني أن الراوي أسقط ذلك في هذا الطريق، ويحتمل أنه رجع، ويحتمل أنه شفع في الأمرين واكتفى في حديث أنس بشفاعة الإخراج لأنها تستلزم الأخرى لأن الإخراج فرع وقوع الحساب. اهـ. ملخصاً من الأبي والله الموفق.

(٧٩ ـ ٩٧) قولها، عليها رحمة الله، وبلواء الحمد، تريد به، والله أعلم، أنه ﷺ خص بكونه صاحب لواء الحمد الذي يعقد له في المحشر حتى يقف آدم وذريته تحتد في ذلك الموقف. ـ وقولها: والمقام، تعني به أنه أيضاً مخصوص بأنه ﷺ هو صاحب المقام المحمود الذي وعده به ربه جل جلاله بقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ الآية.

وقولها: واختلفت أحاديث المقام، تشير به إلى اختلاف الروايات في تفسير هذا المقام المحمود الذي خص به هذا الرسول ذو المنزلة العظمى عبد الله، فجاءت بتفصيل ذلك الاختلاف حسب ما فضله الأبي في شرح صحيح مسلم عقداً لمادته من البيت ٨٠ إلى ٩٧، ومادة الأبي المعقود بهذا النظم هي: عياض: واختلفت الأحاديث في المقام المحمود، فذكر جابر بن عبد الله أنه خروج العصاة من النار بشفاعته ﷺ، ويأتي من حديث ابن عمر ما ظاهره أنه الشفاعة في تعجيل الحساب، وفي حديث جابر، ينادي يوم القيامة والناس سكوت يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك الحديث الخ... وفي حديث كعب بن مالك: «يحشر الناس على تل فنكسى حلة خضراء ثم ينادى بي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود»، وعن عبد الله بن =

[فـفـي حَـدِيـثِ جَـابِـرٌ أذَاعَـهْ
هُـوَ خُـروجُ العـاصي بـالشَّفَـاعَـهْ][٨٠]
[وعَـنْـهُ مَـا مَـضْـمُـونُـه يُـنَـادى
يَـوْمَ الحِسَـابِ حَبَّـذَا المُـنـادى][٨١]

= سلام: محمد على كرسي الرب بين يدي الله عز وجل، وروى عن مجاهد في ذلك قول منكر لا يصح، ولو صح تؤول ويقرب بالتأويل من قول عبد الله ابن سلام. ويخرج من جملة الأحاديث أن المقام المحمود كون آدم عليه السلام وذريته تحت لوائه في عرصات القيامة من أول اليوم إلى دخول الجنة وخروج من يخرج من النار، وأول ذلك إجابة المنادي وحمده الله عز وجل بما ألهمه ثم الشفاعة في تعجيل الحساب وإراحة الناس من كرب المحشر، وهو مقامه المحمود الذي حمده فيه الأولون والآخرون، ثم شفاعته فيمن لا حساب عليه من أمته ثم فيمن يخرج من النار حتى لا يبقى فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ثم يأمر الله بإخراج من قال لا إله إلا الله حتى لا يبقى في النار إلا المخلدون، وهو آخر عرصات القيامة. اهـ. منه بلفظه.

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي عند قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ ما نصه: أخرج سعيد بن منصور، والبخاري، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾، وسئل عنه قال: «هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي». =

[والنَّاسُ في سُكوتٍ يا محمدُ
وهو يُلَبِّي رَبَّهُ ويُسْعِدُ][٨٢]
[لآخر الخبر، ذِي روايَة
وفي حَدِيثِ كَعبٍ روايَهْ][٨٣]
[مَضْمُونُها أن الأناسَ تُحْشَرُ
بأعلا تلٍّ فيُكْسَى المخبَّرُ][٨٤]

= وأخرج ابن جرير، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «المقام المقام المحمود الشفاعة».

وأخرج ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: مقام الشفاعة.

وأخرج ابن مردويه، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: «هو الشفاعة».

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه، عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي أن أقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان من طريق علي بن حسين، قال: أخبرني رجل من أهل العلم أن النبي ﷺ قال: «تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدمه ثم أدعى أول الناس فأخر ساجداً ثم يؤذن لي فأقول يا رب =

[ثُـمَّ يُـنَـادَى بـعـد ذاك فـيـقُـولْ
مـا شـاء ربـه الكـريم أن يقُـول][٨٥]
[فـذا هـو الـمـقـامُ عِـنـده وعَـنْ
عبـد الإلٰـه بن سـلام المؤتـمن][٨٦]
[هـو جُـلوسُـه عـلى كـرسـي
بـيـن يَـدَي إلٰـهـنـا الـعَـلِيِّ][٨٧]

= أخبرني هذا، لجبريل وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه جبريل قط قبلها، إنك أرسلته إليَّ، وجبريل عليه السلام ساكت لا يتكلم حتى يقول الرب صدقت، ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض، فذلك المقام المحمود».

وأخرج ابن أبي شيبة، والنسائي، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وأبو نعيم في الحلية، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والخطيب في المتفق والمفترق عن حذيفة رضي الله عنه، قال: يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، حفاة عراة كما خلقوا قياماً، لا تكلم نفس إلا بإذنه، ينادي يا محمد فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك، والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت، فهذا المقام المحمود.

وأخرج البخاري، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشمس لدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك ثم موسى عليه السلام فيقول كذلك ثم محمد ﷺ =

[وجَاء في حديث نجل عمر
تعجيل ذا الحساب يوم المَحشر][٨٨]
[شفاعة منه هو المقام
صلى عليه ربنا السلام][٨٩]
[وعن مجاهد روى منكر
فلا يصح ذكروا وذكروا][٩٠]

= فيشفع فيقضي الله بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم.

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم المقام المحمود»، قيل: وما المقام المحمود؟ قال: «ذلك إذا جيء بكم حفاة عراة غُرْلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام فيقول اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتي بكسوة فألبسها فأقوم عن يمينه مقاماً لا يقومه أحد فيغبطني به الأولون والآخرون، ثم يفتح نهر من الكوثر إلى الحوض».

وأخرج ابن مردويه عن طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ سئل ما المقام المحمود الذي ذكر لك ربك؟ قال: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً كهيئتكم يوم ولدتم، هالهم الفزع الأكبر، وكظمهم الكرب العظيم، وبلغ الرشح أفواههم، وبلغ بهم الجهد والشدة، فأكون أول مدعىً وأول معطىً، ثم يدعى إبراهيم عليه السلام قد كسي ثوبين أبيضين من ثياب الجنة ثم يؤمر فيجلس في قبل الكرسي ثم أقوم عن يمين العرش، فما من الخلائق قائم غيري فأتكلم فيسمعون وأشهد فيصدقون.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قرأ: =

[لـو صـح ذا لـكـان بـالـتـأويـل
يُشْبِـهُ قـول حبـرنـا الجـلـيـل][٩١]
[يـخـرج مـن جـمـلة ذي الأخـبـار
كـون أبـي الـبـشـر والـذرار][٩٢]
[تـحـت لـواء ذا الأمـيـن الـحـامـد
في عـرصات اليـوم ذي الشـدائـد][٩٣]

= ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال: يجلسه على السرير.

وأخرج الترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه، إلاَّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر، فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول إني أذنبت ذنباً أهبطت منه إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً، فيأتون نوحاً، فيقول إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول ائتوا موسى فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام فيقول إني قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى عليه السلام فيقول إني عبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ فيأتوني فأنطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا؟ فأقول: محمد، فيفتحون لي ويقولون مرحباً فأخر ساجداً فيلهمني الله عز وجل من الثناء والحمد والمجد، فيقال ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك، فهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾.

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾، قال: يخرج الله قوماً من النار =

[أولـه إجـابـة الـمـنـادي
وحـمـده لله ذي الأيـادي][٩٤]
[بـحـمـد يـلهـم لـذا الـمـخـتـار
آخـره إخـراج مـن فـي الـنـار][٩٥]

= من أهل الإيمان والقبلة بشفاعة محمد ﷺ، فذلك المقام المحمود.

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه ذكر حديث الجهنميين فقيل له: ما هذا الذي تحدث به والله تعالى يقول: ﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾، و﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾؟ فقال: هل تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: هل سمعت فيه المقام المحمود؟ قال: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ الذي يخرج الله به من يخرج.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يأذن الله تعالى في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام، ثم يقوم عيسى أو موسى عليهما السلام ثم يقوم نبيكم ﷺ واقفاً ليشفع ولا يشفع أحد بعده أكثر مما شفع وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾.

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه أن يبعثني المقام المحمود الذي وعدني».

وأخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة».

وأخرج ابن أبي شيبة عن سلمان رضي الله عنه قال: يقال له سل =

[ممن بلا إلٰه إلا الله
نطق فالربُّ بذا حَبَاهُ](٩٦)
[وهو الذي يحمد الأولونا
فيه محمداً والآخرونا](٩٧)

= تعطه، يعني النبي ﷺ، واشفع تشفع وادعُ تُجَبْ، فيرفع رأسه فيقول: «أمَّتي أمَّتي» مرتين أو ثلاثاً، فقال سلمان: يشفع في كل من في قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان، أو مثقال حبة من خردل من إيمان، قال سلمان رضي الله عنه: فذلكم المقام المحمود.

وأخرج الديلمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ما المقام المحمود؟ قال: «ذاك يوم ينزل الله تعالى عن عرشه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه».

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾، قال: يجلس بينه وبين جبريل عليه السلام ويشفع لأمته فذلك المقام المحمود.

وأخرج الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾، قال: يجلسني معه على السرير».

وأخرج ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ خير بين أن يكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً فأومأ إليه جبريل عليه السلام أن تواضع، فاختار أن يكون عبداً نبياً، فأعطى به نبي الله ﷺ ثنتين: إنه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع، فكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ ﷺ قال: يجلسه معه على عرشه. انتهى من =

[وخُصَّ ذو اللِّواء بالإسْراءِ
صلَّى عليه دائم البقاء][98]

= الدر المنثور بلفظه، وبه تعلم أنها رحمها الله صدقت حيث قالت: واختلفت أحاديث المقام، والله الموفق.

(٩٨) وقولها رحمها الله: وخص ذو اللواء بالإسراء البيت.. تريد به أنه ﷺ خص من بين إخوانه الأنبياء بكونه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء، وقولها ذو اللواء: أي ذو لواء الحمد، وقد تقدم الكلام على لواء محمد.

وقد اختلف في الإسراء فقيل إنه كان مناماً بالروح، واحتج صاحب هذا القول بقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾ قال: ولم يقل الرؤية، وقيل كان الإسراء يقظة بالجسد، واحتج قائل ذلك بقوله تعالى: ﴿ سبحـٰن الذي أسرى بعبده ﴾ قال: ولم يقل بروح عبده، قال عياض: وبالقول الثاني قال أكثر العلماء من السلف وعامة المتأخرين من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وقيل: كان الإسراء مرتين: مرة مناماً ومرة يقظة، واختار هذا القول ابن العربي، وقال الإمام السهيلي: وهو الذي يصح ويقع به الجمع بين ما وقع من الاختلاف في أحاديث الباب، واحتج من قال إن الإسراء كان يقظة بأنه ﷺ شرب ماء القوم الذي وجده مغطى فأصبحوا وليس في إنائهم ماء، وبإخباره لأهل الرفقة بموضع بعيرهم الذي ند من حنين البراق، وأنه أخبر قريشاً أن القوم يقدمون ويخبرون بذلك، فقالوا: ومتى يقدمون؟ فقال: يوم الأربعاء فلم يقدموا حتى قاربت الشمس الغروب، فدعا الله تعالى فحبسها ساعة حتى قدموا وأخبروا.

واعترض على القول بأن الإسراء كان مناماً، بأنه لو كان كما قالوا لما افتتن الناس به حتى ارتد كثير ممن أسلم، فقالوا يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ورجع إلى مكة من ليلته والعير تطرد إليها شهراً ذاهبة

. . . . . .

= وشهراً راجعة، ذلك أن النائم يرى أنه وصل إلى المشرق وهو بالمغرب، ولا غرابة في ذلك ولا اعتراض، أحرى من أن يكون سبباً للفتنة.

ولا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ لأن ذلك نص القرآن الكريم، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة.

أما القرآن العظيم فقد قال تعالى: ﴿ سبحـٰن الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى علمه شديد القوى ذو مرَّة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عمدة ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ لقد رأى من آيـٰت ربه الكبرى ﴾.

وأما السنة: فمنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال، فربطته في الحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة، قال: ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة: عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل =

. . . . . .

= فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطى شطر الحسن، قال: فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، قال: فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: قد حط عني خمساً، فقال: إن أمتك لا =

. . . . . .

= يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب، أخبرني سليمان وهو ابن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال: سمعت أنس ابن مالك، يحدثنا عن ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص.

ونقل الأبي عن عياض أنه قال: حديث شريك وقعت فيه أوهام أنكرها العلماء وقد نبه على ذلك مسلم بقوله زاد ونقص، منها: قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه، فإنه غلط لأنهم اتفقوا على أن الإسراء كان بعد البعثة، قال الزهري: بخمس سنين، وقال الذهبي: بخمسة عشر شهراً، وقال ابن إسحاق: أسرى به وقد انتشر الإسلام بمكة والقبائل، وقيل: قبل الهجرة بسنة، قال: وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق لأنهم اتفقوا على أن خديجة صلت الصلاة بعد فرضها وأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بخمس.

ومنها: قوله: وانطلقوا بي إلى زمزم، مع ذكره في الحديث المتقدم أن ذلك فعل به وهو في بني سعد، وهو أصح من أنه كان بمكة، قال: =

[وأنَّـه خـطيـب كُـلِّ الأُمَـم
إمَـامُـهُمْ يَـوْمَ الْـجَـزَاء الأعْـظَم][99]
[وأنَّـهُ لَـهُ الْـوَسِـيـلَةُ الَّـتي
هِي الْعُـلاَ مِنْ دَرَجَـاتِ الجَنَّـة][100]

= وقد جود حماد الحديث عن ثابت، عن أنس وفصله وجعله حديثين، فجعل حديث شق الصدر في الصغر، وحديث الإسراء بعد ذلك بمكة وهو المشهور والصحيح انتهى من الأبي جـ ١ ص ٣١٤.

(٩٩) وقولها، عليها رحمة الله، وإنه خطيب كل الأمم.. البيت، تريد به، والله أعلم، أن من خصائصه ﷺ التي خصه الله بها دون الأنبياء، كونه خطيب كل الأمم وأنبيائهم يوم القيامة، ففي سنن الترمذي، في كتاب المناقب من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» رواه الترمذي وحسنه.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر» رواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه.

(١٠٠) وقولها: وإنه له الوسيلة.. البيت.. تريد به، والله تعالى أعلم، أن مما خص به نبينا ﷺ دون إخوته الأنبياء كونه صاحب الوسيلة، وهي مرتبة عالية لا ينالها إلا فرد واحد فقط من جميع الخلق هو محمد بن عبد الله ﷺ، فيحمده الأولون والآخرون ويغبطونه على ذلك الفضل الكريم، ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا =

[وأنَّـه أمَّـتُـهُ خَـيْـرُ الأمَـمْ
كِتَـابـه، لِسَـانُـهُ فيمـا انتُـظِمْ](١٠١)
[كِـتَـابُـهُ يُـقْـرَأُ فِـي الْـجـنَـانِ
لَا غَـيْـرُهُ مِن كُـتُـب الـرحـمـنِ](١٠٢)
[وأنَّـه لِـسَـانُـهُ الـمَـاذِيُّ
لِسَـانُ أهـل الجنَّـةِ الْمَـرْضِـيُّ](١٠٣)

= الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي».

وفي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة».

(١٠١ - ١٠٣) وقولها: وأنه أمته.. إلى آخر البيت الثالث: تريد به، والله أعلم، أن مما خص به نبينا ﷺ، كون أمته خير الأمم وشاهدة على جميع الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ الآية من آل عمران.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وكذلك جعلناكم أمَّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ الآية من سورة البقرة.

وقال تعالى في سورة الحج: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ الآية، وروى عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية، قال: «إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»، وفي لفظ: «أنتم أفخرها وأكرمها على الله عز وجل» رواه أحمد، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن ماجه، والدارمي. =

[وبـاسْـتـواء الأجْـر فـي الـتَّـنـفُّـل
في حَـالَتَيْـهِ خُصَّ ذو التَّفَضُّـل](١٠٤)
[وخُصَّ أيـضـاً أفْـضـلُ الأنـام
يَـنـظر مـن خَـلـفُ كـالأمَـام](١٠٥)

= وروى الإمام أحمد في مسنده نحوه عن أبي سعيد الخدري، وفي مسند الإمام أحمد أيضاً من رواية عن عليّ بلفظ: «وجعلت أمتي خير الأمم».

وخص أيضاً بأن كتابه الذي أنزل عليه هو أفضل الكتب المنزلة، وأن لسانه العربي الذي أنزل الكتاب به هو أفضل الألسن، وكأنها تستدل لذلك بأن القرآن يقرأ في الجنة لا غيره من سائر الكتب المنزلة، وقالت إن لسان أهل الجنة الذي به التخاطب فيما بين أهلها هو العربية، وذكر الخفاجي أن لسان أهل الجنة العربية، غير أن مثل هذا لا بد فيه نقل، والعلم عند الله تعالى.

(١٠٤) وقولها: وباستواء الأجر في التنفل.. البيت.. تريد به، والله أعلم، أنه ﷺ مخصوص باستواء أجره في حالة تنفله قائماً وقاعداً، ولم أقف على مستند هذه الخصوصية دون الأنبياء، وإثبات مثلها يحتاج نقلاً. والله الموفق.

(١٠٥) وقولها: وخص أيضاً أفضل... البيت.. تريد به، والله أعلم، أن من خصائصه ﷺ كونه ينظر من خلفه نظراً مساوياً لنظره لما هو أمامه، ففي الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلتي ها هنا؟ فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري» متفق عليه ولغة لمسلم.

وفي رواية أخرى لمسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم انصرف فقال: «يا فلان ألا تحسن =

. . . . . .

= صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يديَّ».

ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند الصحيحين، قال: صلى لنا النبي ﷺ صلاة ثم رقى المنبر فقال في الصلاة وفي الركوع: «إني لأراكم من ورائي كما أراكم». - وفي رواية للنسائي: «فوالذي نفسي بيده إني لأراكم من خلفي كما أراكم من بين يديّ».

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: قال العلماء: معناه أن الله تعالى خلق له ﷺ إدراكاً في قفاه يبصر به من ورائه، وقد خرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به.

وقال القاضي عياض: قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: وجمهور العلماء: هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة. اهـ. والله أعلم. انتهى بنقل الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر في كتابه الذي أسماه عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ص ٤٩/ ٥٠.

وقولها، رحمها الله: أفضل الأنام، تعني أفضل الخلق وهو محمد ابن عبد الله ﷺ فإن ثبوت شرفه وإنه أفضل خلق الله يكاد يكون معلوماً من الدين بالضرورة فلا يحتاج إلى جلب دليل، وصدق القائل:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

أخرج الدارمي في السنن جـ ١ ص ٢٥ إلى ٢٧ ما نصه: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أنا يزيد بن أبي حكيم، حدثني حكيم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن الله فضل محمداً على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا: يا ابن عباس، بِمَ فضله على أهل السماء؟ قال: قال لأهل السماء: ﴿ ومن يَقُلْ مِنْهُم إني إلٰه من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ الآية، وقال الله لمحمد ﷺ: =

. . . . . .

= ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ الآية.

قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: قال الله عز وجل: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ الآية، وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ الآية، فأرسله إلى الجن والإنس.

أخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد، ثنا زمعة، عن سلمة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فتسمع حديثهم، فإذا بعضهم يقول: عجباً إنَّ الله اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله، وقال آخر: ماذا بأعجب من ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: وآدم اصطفاه الله، فخرج فسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيه وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته، وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك. ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه، ولا فخر، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك بحلق الجنة، ولا فخر فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله، ولا فخر، اهـ. محل الغرض منه.

وإن أردت مزيداً من أدلة كونه أفضل خلقَ الله ارجع إلى ما نقل عند الكلام على عموم رسالته حتى تشمل الملائكة، وعلى الكلام على قوله تعالى: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ عند قولها: وبحياة الهادي، البيت... والله تعالى ولي التوفيق.

[قيلَ وقَدْ يُبْصِرُ بالدَّأْدَاءِ
كما يَرى في شدَّةِ الضياء](١٠٦)
[وكَوْنُهُ من الذُّنُوبِ قد عُصِمْ
قَبْلَ النُّبُوءَةِ وبَعْدَها انْحَتَمْ](١٠٧)
[في السهو والعمد والاختيار
وغيره عصمةُ ذا المختار](١٠٨)
[مِن مُطْلَقِ الْحُوبِ فلا كبيرةْ
أتى بها قط ولا صغيره](١٠٩)

---

(١٠٦) وقولها: قيل وقد يبصر.. البيت.. مرادها به، والله أعلم، أنه ﷺ مخصوص باستواء رؤيته فيي الأشياء في شدة الضوء وشدة الظلام، ويؤيد قولها هذا ما جاء في أشرف الوسائل إلى الشمائل، قال: تنبيهٌ: روى البخاري والبيهقي أنه ﷺ كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار بالضوء. اهـ. منه.

والدأداء: قال في القاموس: الدأداء، والدئداء، والدَّؤدؤ: آخر الشهر، أو ليلة خمس وست، وسبع وعشرين، أو ثمان وتسع وعشرين، أو ثلاث ليال من آخره جمعه: الدَّآدىء ـ قال: وليلة دأداً، ودأداة، ويمدان: شديدة الظُّلمة. اهـ.

(١٠٧ ـ ١٠٩) وقولها: وكونه من الذنوب... الأبيات الثلاثة، مرادها بذلك بيان كونه معصوماً من الذنوب، وهذه لا تخصه دون إخوته من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال عياض في الشفا: اختلف السلف في عصمة الأنبياء من المعاصي قبل النبوة ومجيء الوحي لهم، والصحيح إن شاء الله تعالى، تنزيههم عن كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب ريب. اهـ. منه.

[وخُصَّ بالمنعِ مِنَ التَّثاؤُب
والاحْتِلامِ، ذان عنهما اجْتُبي][110]
[ومَنْعُ إرث مَا مِن المال تَرَكْ
فَالْتَزِمَنَّ ما أتى لا ما تَرَكْ][111]
[وشارك الهادي في هذي الأربَعه
جميعُ الأنبيا فكن مُتَّبِعَهْ][112]
[وكُلُّ ذا التَّلخيص للصبان
صبَّتْ عليه رحمة الرحمن][113]
[إلا الذي فُصِّل في المقام
فإنه للأبي ذي المقام][114]
[سهلته بنظمه لتَسْهُلا
ليَ طريقةٌ لجنَّةِ العلا][115]
[مما به خُصَّ الأمين الهادي
صلى عليه مسدي ذي الأيادي][116]

---

(١١٠) وقولها: وخص بالمنع من التثاؤب.. البيت، تريد به، والله أعلم، أن تبين أنه معصوم من التثاؤب والاحتلام، وهذه أيضاً لا تخصه دون إخوانه الأنبياء، لأن التثاؤب والاحتلام من الشيطان، ولا سبيل للملعون على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ الآية.

(١١١-١٢٢) وقولها: ومنع إرث ما من المال.. البيت، تريد به، والله أعلم، أن تبين أنه ﷺ مخصوص بعدم إرث حطام الدنيا عنه، وهذه أيضاً لجميع إخوانه الأنبياء لأنهم إنما يورث عنهم الدين والحكمة، ودليله قوله ﷺ: «لا نورث ما تركناه صدقة» والمسألة معروفة، والله تعالى الموفق. =

[يَا ربَّنا بِحُبِّنَا لِلرُّسُلِ
اخْتِمْ بِخَيْرٍ عملي وأَجَلي][117]
[والْقَوْلِ بالإخلاص والشَّهادَة
يَا مَن دعا لسؤله عباده][118]
[وعافنا في الدين والدناء
من جُمْلة الشرور والبلاء][119]
[وصلِّ بالغداة والْعشيِّ
على المقفَّى الطاهر الزكي][120]
[وآله ذوي العلوم الفاخرة
وصحبه المؤثِّرينَ الآخِرةْ][121]
[ما كان للخلق به اقتداء
أو بان من تبيانه اهتداء][122]

= هنا انتهى ما حاولت من استجلاب أدلة ما نظمته المرحومة بإذن الله تعالى المتبحرة في علوم القرآن والسنة، والدتي من الرضاعة وعمتي شقيقة والدي أم الخيرات بنت أحمد المختار الجكني دفينة المعلاة بمكة المكرمة. وكان الفراغ منه في الثاني والعشرين من رمضان عام سبعة وأربعمائة وألف للهجرة النبوية الشريفة، وبالله تعالى التوفيق.

كتبه جامعه بفضل الله تعالى أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي المدرس بالمسجد الحرام.

فهـــرس

تقديم ٥
مقدمة الكتاب ٧
كلمات في التعريف بصاحبة النظم ٨
مقدمة النظم ١١
تقسيم ما خُصَّ به ﷺ إلى أربعة أقسام ١٧
كلام نفيس للقرطبي بتوضيح ذلك ١٨
ما ذكره خليل بن إسحاق في مختصره مما خص به ﷺ ٢١
بيان أن القسم الرابع هو موضوع النظم ٢١
الكلام على تقدم نبوته قبل تمام خلق آدم وأنه أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا ٢١
كلام للسبكي في أن الأرواح خلقت قبل الأجساد ٢٦
استطراد ذكر فيه نسبه ﷺ ومولده ٢٧
رؤيا آمنة بنت وهب قبل حملها برسول الله ﷺ ٣١
إرسال أمه إلى جده ﷺ بعد وضعه ٣٢
الكلام على أنه أول قائل بلى يوم ألست بربكم ٣٤
كونه أول مبعوث تنشق عنه الأرض ٣٧
كونه أول شافع وأول مشفع ٣٨
كونه أول من يكسى يوم القيامة بعد كسوة إبراهيم الخليل ٣٩
كونه أول من يؤذن له بالسجود بين يدي الله تعالى في الموقف ٤٠

كونه أول ناظر إلى وجه الله تعالى ٤٢
وفيه بحث حول رؤية الله تعالى كونه أول من يجوز على الصراط ٤٤
وكونه أول من يدخل الجنة ٤٥
كون دار هجرته ﷺ هي آخر الدنيا خرابا، وفيه بحث في فضل المدينة المنوّرة ٤٧
كون اسمه ﷺ مكتوب على العرش وعلى الجنان ٤٨
كونه خصه الله تعالى بأنه أعطاه من كنز تحت العرش أم الكتاب وآية الكرسي وخواتم البكر وسورة الكوثر ٥١
كون الله تعالى أخذ الميثاق على كل نبي بالإيمان منه ﷺ وكونهم عليهم الصلاة والسلام كل واحد منهم أخذ الميثاق على أمته بذلك ٥٣
كونه يحشر راكباً على البراق ٥٤
خصوصيته ﷺ إما بالشق وإما بتكرار الشق على أن الأنبياء حصل لهم ذلك وهو الظاهر ٥٥
كون خاتم نبوته عند نغض كتفه الأيسر ٥٧
كونه ﷺ لا ظل له ٥٩
كونه لا يقع الذباب على ثوبه ولا على جسده ﷺ ٥٩
كونه إذا ركب الدابة أمسكت عن البول والروث، وفي ذلك نظر ٥٩
كونه إذا مشى مع طوال طالهم وهو ربعة في انفراده ﷺ ٦٠
استطراد ذكر فيه بعض شمائله ﷺ ٦٠
شرح غريب حديث أم معبد ٦٠
حديث الحسن رضي الله عنه عن خاله هند بن أبي هالة ٦٢
بيان بعض ألفاظ هذا الحديث ٦٣
نظم لبعض الأفاضل في صفته ﷺ ٦٩
ذكر شيء من أخلاقه الباهرة وشمائله الطاهرة ٧١
كون من رآه في المنام قد رآه حقاً ٧٥
كون مسجده ﷺ إذا وسع لم تختلف أحكامه في مضاعفة الأجر ٧٥

كونه أرسل إلى الناس كافة ٧٥
الكلام على شمول رسالته للجن ٧٥
الكلام على شمول رسالته للملائكة ٧٥
وكونه لم يرد خطاب في القرآن باسمه بل إنما يرد الخطاب إليه بالكناية
تارة بالرسالة أو النبوة ٨٥
وكونه أقسم الله تعالى بحياته ٨٦
وكونه رأى جبريل في صورته التي خلقه الله عليها مرتين ٩٢
وكونه نزل عليه إسرافيل بالوحي قبل نزول جبريل بالقرآن ٩٤
وكونه النجس منا طاهر منه وهذه لا يختص بها دون الأنبياء بل جميعهم
عليهم الصلاة والسلام كذلك ٩٥
وكونه لم يرَ أثر قضاء حاجته، وفيه نظر لأنه ثبت أن أم أيمن شربت
بوله ﷺ ٩٦
وكونه يشم المسك من كل مكان حل فيه ٩٦
وكونه يخص من يشاء بما شاء من الأحكام، من ذلك شهادة خزيمة ٩٧
وكونه خاتم الأنبياء ٩٩
وكونه صاحب الشفاعة يوم القيامة في فصل القضاء ـ وحديث الشفاعة .. ٩٩
وكونه صاحب لواء الحمد وكونه صاحب المقام المحمود ١٠٢
وكونه أسري به ﷺ ١١٠
وكونه خطيب كل الأمم وأنبيائهم يوم القيامة ١١٤
وكونه صاحب الوسيلة ١١٤
وكون أمته خير الأمم وكتابه أفضل الكتب ولسانه العربي أفضل الألسن.. ١١٥
وكونه يستوى أجره إذا تنفل قائماً أو قاعداً ١١٦
وكونه ينظر من خلفه نظراً مساوياً لنظره لما بين يديه ١١٦
استطراد في كونه أفضل خلق الله ١١٧
وكونه لا تختلف رؤيته الأشياء في الضوء والكلمة ١١٩
خاتمة الكتاب ١٢١

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

التنضيد: كومبيوتايب للصف الطباعي الإلكتروني

الطباعة: مؤسسة جواد للطباعة والتصوير هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٢٧٧٠٢ - بيروت - لبنان